بذور الرشد

﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾

تفسير

سُورَتَيِ المُلْكِ والقَلَمِ

ٱلۡمُيسَّر

• **عنوان الكتاب:** بذور الرشد، تفسير سورتي: الملك والقلم الميسر
• **اسم المؤلف:** د. محمد باباعمي
• **الطبعة الأولى:** 1442هـ - 2021م
• **مقاس الكتاب:** 125 × 190
• **عدد الصفحات:** 224
• **ردمك:** 978-9931-735-11-3 ISBN
• **الإيداع القانوني:** السداسي الأول، 2021.

Copyright © 2021 Kitabook

Cité Ghaalloul, Bordj El Bahri, Alger Tél: 023.957.273 E-mail : Info@kitabook.net

بذور الرشد

تفسير سورتي الملك والقلم الميسر

محمد باباعمي

كتابك
Kitabook

بسم الله الرحمن الرحيم

بنيَّة العمل

لا يعنيني في شيءٍ أن أفسِّر القرآن الكريم، فقد فسَّره علماء كرام؛
ولكني أحيا به ومعه، ثم أتخذه منطلقا لفكري، وصبغة لفعلي...
في رحلةِ العمر، وقد جاوزت الخمسين حِجّة؛
وهي مرحلة لا أرجو معها ولا بعدها إلَّا معية الله جَلَّجَلَالُهُ،
وصحبة كلامه، وكنف رحمته ورضاه ؛
أسأله سبحانه صلاح أمر أمَّتي، وأن يفرج عنها،
ويظهر دينه على سائر الأديان،
وأدعوه أن يصحح بكلامه الحكيم انحراف البشرية
الفكري والثقافي والحضاري،
وأن يسخرنا في إطار «نموذج الرشد»،
وبالاستعانة بـ«بذور الرشد»، لهذا السبيل،
أُشهدُ اللهَ أن ليس لي في الدنيا أمنية، إلا أن يجتمع عدد من العلماء،
فيجتهدون في علوم القرآن والتفسير، وعلوم المعنى والتنزيل؛ بعقل
جَمْعِيٍّ، داخل مراكز بحثية دائمة؛ تنفق فيها أموال أثرياء الأمة،
وتسخر لها سلطة تحميها، وتجند لها سواعد وعقول
خيرة علماء هذه الأمة...
لنحقق بذلك نقلة حضارية توحيدية، نبتغي ذخرها عند الله تعالى
وما بين يدي القارئ الحبيب هو صورة لهذا المعنى،
وهو ظل لتلك النية، في انتظار تحقيق المطلوب، وبلوغ المرغوب
اللَّهُمَّ فاشهد، وبلغ المقصود

فريق العمل

• الأمانة والتنسيق:	أ. جابر ناصر بوحجّام
• الإشراف الفني:	أ. جابر باباعمي
• التصميم والتنفيذ الفني:	أ. ياسين بوشارب
• متابعة النشر والطباعة:	أ. محمد الحاج سعيد
• المراجعون:	د. نواسة يوسف
	أ. باكلي محمد الأمين
	أ. ناصر بوحجام جابر

مقاصد تفسير الرشد

- تحبيب كلام الله تعالى للناس بعامَّة، وللناشئة والشباب بخاصَّة.
- عرضُ التفسير في صورةٍ غير منفِّرة لمن لم يألف مطالعة المجلدات.
- الوصول بكلام الله تعالى في حياتنا اليومية إلى حال التمثُّل والتناغم، بعيدا عن حال التكلف والانفصام.
- الخروج من دائرة الاختلاف في الأصول وتخطئة الآخر؛ إلى سعة المعاني المتفَق عليها، والتي تمثل أصل الدين ولبه؛ مع اعتبار الأوجه التي تؤشر إلى رحابة الدين، والتي تمثل الفروع، الجائز الاختلاف فيها.
- اعتماد مصادر التفسير كلِّها: من سنة نبوية، وآثارٍ عن الصحابة، وأقوال للتابعين، وتفسير مَن بعدهم عبر القرون؛ بعيدا عن جفاء القطيعة.
- الإسهام في تحذير الناس من الجرأة على كلام الله، والتقول على الله تعالى بما لم يقل.
- اعتبار اللغة مصدرا أساسًا لفهم الآية القرآنية؛ لكنه غير كافٍ لوحده.

- توظيف الجملة وحدة معيارية للفهم بديلا عن النص المسترسل الطويل؛ وذلك استفادة من منهج القرآن الكريم في اتخاذه الآية وحدة معيارية لبنية المعنى.
- استثارة العمل بعد فهم الآية القرآنية، ذلك أنَّ الغرض من كلام الله تعالى هو «الامتثال والتمثل» لا مجرد الحفظ والأداء والفهم.
- الدعوة إلى إعمال العقل الجماعي في إنجاز مشاريع لا حصر لها، من مداخل معرفية متجاوزة للتخصص، في فهم كلام الله تعالى.
- الدفاع عن الفهم المطيافي، الذي أسسنا له منذ عقدين من الزمان «المبني على اعتماد الموشور المعرفي، المكوَّن من عقول متباينة، وتخصُّصات مختلفة، وحالات ونماذج معرفية متعددة... للوصول إلى فهم ديناميكي حركي للآية القرآنية».
- تحريك مراحل تحويل المعلومة إلى سلوك، من خلال بذور الرشد: السؤال، الافتراض، الرؤية الكونية، القاعدة الكلية، الصورة الإدراكية، مخطط الفعل، الفعل الحضاري.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم سورة الملك على وقع الوباء

من كان يظنُّ أنَّ سورة الملك ـ ضمن تفسير بذور الرشد ـ تنتظر دورها طويلا في طابورِ النشرِ، حتى يحلَّ على الناس ليلٌ من الوباء (الفيروس التاجي) أظلمَ على الكون الفسيح، وأحال القلوبَ على شاكلة فؤاد أمّ موسى ﴿فَارِغًا اِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: خافَ من خاف، وأدلجَ من أدلج؛ مرِض من مرض، وشُفي من شفي؛ حيي من حيي، ومات من مات؛ صدَّق من صدَّق، وكذَّب من كذَّب...

توزَّع الكلُّ شتاتًا في شتاتٍ، لا جامع للصلاة في بيوت الله يَأويهم، ولا ضيافة يُدعون إليها، لا عُرسا ولا حتى مأتما؛ لا مدرسة تَلُمَّ شعث أبنائهم وبالعلم والخُلق الحليم تروّيهم، ولا أذان لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُسمع، فيقدِم الناس إلى الحجّ ﴿رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَاتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾...

توقَّفت عقارب الساعةِ، وغرَّد البوم النكد في كلّ مكان، فكان هذا ـ حكم الظاهر ـ؛ أما الباطن فيقرر بلغة التوحيد والإيمان أنَّ لطفَ الله بنا كان أقوَى، وهو الذي بفضله أدوى وأشفى...:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

ها قد جلستُ لأخطَّ مقدِّمة لسورة الملك، والموتُ يتهدَّد الناس من كل جانبٍ؛ وحقيقة الموت مسطَّرةٌ في صدر السورة العزيزة بأبلغ عبارةٍ، وأوجز بيان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

فالموت إذن ليس عدمًا، بل هو خَلقٌ من خلق الله سبحانه؛ وهو مقدَّم على الحياةِ؛ ولحكمةٍ ما خَلَقَه الله تعالى؛ ذلك أن لو كان الناس – خالدين مخلَّدين – في الدنيا أبدًا، لكان شأنهم غير هذا الشأن، ولطَغوا وتجبَّروا، ولما عملوا صالحا، ولما تصدَّقوا، ولم عبدوا ربًّا... إلاَّ أنَّ مشيئة الله تعالى قرَّرت – وحكمُها نافذٌ لا محالة – أن يكون كلُّ إنسان مآلُه الموت، بلا استثناء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾؛ وأن لا فرق في ذلك بين مسلم وكافرٍ، شيطانٍ ونبيٍّ؛ ذلك أنَّ الحياة ليست مقصدا لذاتها، وأنَّ الموتَ ليس نهايةً للوجودِ؛ وإنما الموت والحياة على السواء للابتلاءِ؛ لأنْ يعلم الله تعالى ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

ولقد تظافرت الأحاديث الشريفة على الربط بين سورة الملك وأحوال تلك الدار، بخاصَّة عذابَ القبر، حتى سُميت – المانعة –؛ ولقد روى الحاكم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**سورة تبارك هي**

المانعة من عذاب القبر»[صححه الحاكم].

بل إنَّ سورة الملك تشفع للرجلِ المؤمن، وتكونُ سببا لأن يَغفر الله تعالى ذنوبه ولو كانت مثل جبلِ قاف، شرطَ أن يتوب منها ويقلع ويندم؛ فيدخله ربه الجنة مع الأبرار؛ ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ سورة في القرآن ثلاثون آيةً شفعت لرجل حتى غفِر له، وهي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾».

قال الإمام السيوطي تعليقًا على الأحاديث الواردة في فضل ﴿تَبَارَكَ﴾: «فعُرف من مجموعها أنها تجادِل عنه (الذي يقرأها) في القبرِ، وفي القيامة؛ لتدفع عنه العذاب، وتدخله الجنة».

ويعجب التالي للسورة العظيمة، سورة الملك، من الصلةِ الوثيقة بين بديع صنعِ الله في الكون، وعملِ الإنسان المتراوح بين الإيمان والكفر، بين الطاعة والمعصية، بين القرب والبعد، بين التصديق والتكذيب... فمن تعلَّم «فنَّ النظر إلى خلق الله تعالى، وإلى السموات والأرض...»، ومن داوم على عبادة «إرجاع البصر... كرَّة ثم كرَّتين»، ومن اكتشف سرَّ التناغم بين ما خلق الله جَلَّ جَلَالُهُ، ومن علم أن لا اختلاف ولا تفاوت بين خلقٍ وخلقٍ...

مَن كان هذا ديدنُه، استمع إلى النذير، وخشي الرحمن بالغيب، وعمَر الأرض طاعة وعبادةً، ولم يأمن من عذاب الله تعالى ومكره... فأتى كلَّ ما أمره به الله سبحانه، وهجر كلَّ ما

نهى عنه جل في علاه؛ فكان منصورا من قِبل الله تعالى، ثم أرسل له جنودا تحفظه، ورزقه من غير حسابٍ...

وها قد غمر العالَمين هذا الإعلانُ الكوني الذي لو وزّع على الخلق جميعِهم لوسعهم، ولا ريب أنَّ الملائكة هنالك في عالم الملكوت تحتفي وتحتفل به؛ هذا الإعلان جاءَ على لسان سيد الأنام محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ووجب أن نردّده على إثره إلى أن نلقى الله وهو عنَّا راضٍ، هذا الإعلان المدوي يقول بأعلى صوتٍ:

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾.

لا خوف إذن، ولا حزن،

ولا شكَّ، ولا وهم...

إنما هو اليقين في الله الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمد؛ مالك الملك، منزّل «سورة الملك»، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو على كلِّ شيء قدير.

د. محمد باباعمي

باسة وافضل، بني يسجن

يوم السبت 4 ذو الحجة 1441هـ - 25 جويلية 2020م.

تفسير

سُورَةِ المُلْكِ

المُيسَّر

قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿1﴾

بذور المعنى

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ كمالُ التوحيد، وبه تمام الإيمان، وعلى وقعه يتأمَّل العاقل الكونَ الفسيح، فلا يجد خللا ولا فطورا؛ و«برحمة الله» يُستعاذ من نارِ جهنَّم، وتُطلب مغفرته تعالى؛ والمؤمن ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ مأمورٌ بالنظر والسير، وبالتفكُّر في أسباب الرزق، وفي سعة علم الله سبحانه: ﴿قُلِ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللهِ﴾؛ وينتهي المؤمن في جلالٍ وجمالٍ إلى الإقرار المطلق مناديا: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾.
- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: تقدَّس وتنزَّه وتعاظم وتعالى،

فالبركة تعني جميع معاني النماء والزيادة والكثرة في كلِّ أسباب الخير، حسيَّة كانت أم معنويَّة؛ فالله تعالى الذي يملك الوجودَ جميعَه، ولا يقدر العقلُ على استكناه أبعاد هذا الملك الشاسعِ؛ وملك الله تعالى على الإطلاق لا يبيد ولا يزول، ولا يعتريه نقصٌ من أي وجه من الوجوه؛ والله تعالى بهذا تقدَّس عن جميع المخلوقاتِ، وتعالى في جميع الحالاتِ، فهو قد ﴿تَبَارَكَ﴾ حتى ولو لم يعترف له بذلك أحدٌ من خلقه؛ هو سبحانه مصدرُ البركة، وخالقُها، والعليمُ بها، والآمر عباده بالتقرب إليه بذكرها.

- افتتحت السورة بما يدلُّ على كمال الله تعالى المطلقِ، وبما ينزهه عن كلّ نقص مطلقًا؛ فكانت محتوياتها أصلاً في الدين، وأساسًا في التوحيد؛ ولقد يسَّر الله تعالى حفظها وفهمها على المؤمنين، وحبَّبها للناس أجمعين؛ إلاَّ من أشرك وكفر، فاختار الضلال المبين، ثم نسب الملك لغير الله ﴿الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[غافر:16].

- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)﴾: الملك والقدرة متلازمان، ولولا كونه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قادرا على كلِّ شيء، لما كان له الملك خالصًا، ولنازعه فيه غيرُه؛ وإذ لم يدَّع أحدٌ ملك السماوات ولا الأرضين، ولا ملك الزمان والمكان، ولا ملك نفسه ومصيره... فإنَّه سبحانه هو المتفرِّد بالملك، وهو الموصوف بالقدرة. ولا ملك لأحد

من خلقه إلاَّ وهو زائلٌ وعابرٌ وغير ذاتيٍّ، فهو متعلّق بملك الله تعالى الدائم المطلقِ الذاتيّ؛ ولا قدرة لأحد من خلقه إلاَّ ما استمدَّ من قدرة الله تعالى المطلقة، سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

التشغيل والتفعيل

- سميت السورة بثمانية أسماء، منها: سورة الملك، سورة تبارك، المنجية، المجادلة، والمانعة...
- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غُفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك**». فيُستفاد من الحديث فضل السورة، وأنها تسمَّى كذلك «**سورة تبارك الذي بيده الملك**»، ويستفاد منه الحثَّ على مداومة تلاوتها.
- في الآية لم يرد اسم الله تعالى على التصريح وذلك لظهوره وجلائه، وأنه لا أحد ينازعه في الملك، ولا أحد يدَّعي قدرةً مستقلَّة عن قدرة الله سبحانه.
- عرّف الشيء بأنه: «ما يصحُّ أن يعلَم ويخبر عنه»، وقيل الشيء لا يطلق إلاَّ على الموجود، وقيل المعدوم شيءٌ كذلك؛ يقول ابن عاشور: «وهي مسألة لا طائل تحتها، والخلاف فيها لفظيٌّ» وأرى أنَّ الخلاف ليس لفظيًّا وإنما هو خلاف منطقيٌّ فلسفيٌّ كلاميٌّ عميقٌ؛ وإن كنت أتفق معه

أنَّها مسألةٌ لا فائدة عمليَّة تنتظر منها، وهي من اختصاص أهل الفلسفة، وليست مُشاعة بين الناس ولا ميسورة على الفهم، ولو أحلناها إلى الرياضيات لوجدنا الجواب القريبَ إلى الصواب؛ ونظيرها مسألة الصفر: هل هو عدد أم ليس بعدد؟.

- دلَّت الآية على أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له؛ إذ لو كان معه شركاء لنازعوه الملك والقدرة؛ فمن كانت قدرته مطلقةً فهو الإله الحقُّ، ومن كانت مقيَّدة فلا يصحُّ أن يكون إلها؛ إذ الألوهية والربوبية لا تتجزَّأ.

من الفكر إلى الفعل

- كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**».
- الله تعالى منزَّه عن الحيز والمكان مطلقا، فوجب أن ننزهه عن كل نقص، وأن نصفه بكل كمال.
- من كان له الملك مطلقا كان على كلّ شيء قدير، فهما متلازمان؛ ولذا لا يُسأل الملك، ولا تُطلب القدرة، إلا من الملك القدير، سبحانه.
- الآية تعلم الناس كيف يثنون على ربهم بأوجز عبارة وأبلغ معنى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال الله تعالى:

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿2﴾

بذور المعنى

- ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾: الله تعالى هو الذي أماتَ من شاء وما شاء، وأحيا من شاء وما شاء؛ فقد يكون معنى الموت الإفناءُ بعد الوجود، أي سلبُ الحياةِ من الموجود؛ وقد يكون معناه العدمُ مطلقًا، سواء سُبق بوجودٍ أم لم يسبق، ويدل عليه الترتيب في الآية؛ ذلك أنَّ العدم أسبق من الوجود، والموتَ سابق على الحياة.
- ويبقى تعريف ﴿الْمَوْتَ﴾، وتعريف ﴿الْحَيَاةَ﴾ من أعقد المعاني؛ أمَّا معرفتهما بأثرهما، وأنهما قاهران للعباد، فهو محلُّ إجماع البشر جميعًا؛ إذ ثمَّة من يكفر بالله تعالى

ويؤمن بالموتِ والحياة، ذلك أنهما قاهران لا رادَّ لهما، ظاهران لا خفاء فيهما.

- الموت في الآية قد يراد بها: مرحلة النطفة والعلقة والمضغة، ثم تأتي الحياة بمعنى نفخ الروح في الجنين؛ وقد يرادُ بالموت الموتُ في الدنيا، وبالحياة الحياة في الآخرة؛ أو ذات الموت وذات الحياة، بغض النظر عن محلهما، فهو أعمُّ وأدقُّ وأدلُّ على صيغة الآية.

- ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: الله جَلَّجَلَالُهُ إنَّما خلق الموت والحياة في عباده ليختبر أيّ الناس للحقِّ أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع. وفي الحديث الذي رواه ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيء ﷺ قال: «**أيُّكم أحسن عقلا، وأورع عن محارم الله تعالى، وأسرع في طاعة الله** عَزَّوَجَلَّ». والله تعالى سبحانه عليمٌ بذلك، وإنما ليكتمل العلم لكم وعندكم، ولتكونوا على بيِّنة مما عملتم، وما تُجزون عنه.

- من معاني ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلص الأعمال وأصوبها؛ فإنَّ العمل الخالص بلا صواب لا يُقبل، وكذا العمل الصائب غير الخالص لا يرتفع إلى الله تعالى. ويقابله في المعنى كذلك: ليبلوكم أيكم أقبح وأسوء عملاً، وهو معنًى بالمنطوق والمفهوم.

- ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾: هو سبحانه عزيزٌ قويٌّ شديدُ العقاب لمن عصاه وأساءَ العمل، وهو الغفور الرؤوف الرحيم بمن

أطاعه وأحسن العمل.

- واجتماع اسم الله تعالى ﴿الْعَزِيزُ﴾ مع ﴿الْغَفُورُ﴾ نادر في القرآن الكريم؛ ولقد ورد مرَّة بالنكرة في سورة فاطر: ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:28]، وورد بالتعريف في هذه الآية من سورة تبارك.

التشغيل والتفعيل

- عرف الرازي الحياة بأنها: «الصفة التي يكون الموصوف بها بحيث يصحُّ أن يعلم ويقدر»؛ وعرَّف الموت بأنه: «عبارة عن عدم هذه الصفة». غير أنَّ هذا التعريف ليس لذات الحياة وإنما للازم الحياة؛ فيكون تعريف الموت بالتبع غير دقيق ولا جامع ولا مانع.
- تعريف «الحياة» يستلزم بالضرورة أن نعرف «المعنى من الحياة» أي الوجهة؛ ولا ريب أنَّ الدّين حين يحدّد العلاقة بين «الحياة» وبين «خالق الحياة» يتفوَّق على الفلسفة التي تُلغي سؤال الميتافيزيقا، ثم بعد ذلك تجهد نفسها في «فهم الحياة»، مؤسّسة بناءها على أرض هشَّة لزجة رخوة.
- قال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبح، ثم ينادي منادٍ: يا**

أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت؛ فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم»[رواه البخاري].

- قال قتادة: سألت رسول الله ﷺ فقال: «**يقول أيكم أحسن عقلا**»، ثم قال: «**أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا، وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظرًا**».
- الفناء هو أصل الإنسان في الأزل، والبقاء هو مصيره في الأبد؛ أمَّا الوجود مطلقا فمستند إلى «الأول والآخر، والظاهر والباطن»، إلى الله سبحانه الذي لا بداية ولا نهاية.

من الفكر إلى الفعل

- إنما قدم الله تعالى ذكر الموت على ذكر الحياة لأنَّ أقوى الناس عملا واجتهادا من نصب موته بين عينيه، ولم يتغافل عنه.
- ليس ذكر الموت لغرض الرهبنة والسكون وإماتة الحياة؛ وإنما هو للحياة الحقيقة، التي لها تعلق بحركة الحياة، وبمآل الإنسان بعد الحياة.
- الحياة هي الأصل لجميع النعم، ولولاها لما تنعّم إنسان بنعمة مهما قلّت أو كثرت، صغُرت أو كبرت.
- قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات الموت**». ويقال عن الرجل العظيم حين يموت: «مات رجل عرف أنه سيموت، وعمل لما بعد الموت».
- إنَّ الخوف من الموت في الدنيا حاصلٌ، وأشدُّ منه الخوف من تبعات الحياة يوم القيامة.
- من معاني الغفور أنه تعالى يكرم أولياءه ويصفح عن فلتاتهم؛ فاللهم يا غفور أكرمنا واصفح عن فلتاتنا... آمين.
- للقراءة: «**الإسلام بين الشرق والغرب**» علي عزت بيجوفيتش. ومقال «**ما معنى الحياة؟.. سؤال يجيبه الدين وتعجز عنه الفلسفة**» لنايجل واربرتون.

قال الله تعالى:

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿3﴾

بذور المعنى

- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: الله تعالى خلق سبع سماوات مُطابقا بعضُها لبعضٍ، أو هي طبقاتٌ بعضها فوق بعضٍ؛ ولقد تكلَّف من قسَّم السماء الدنيا إلى طبقات: الطبقة السفلى، الطبقة الكبريتية، طبقة الانصهار... غير أنَّ المعنى واضح أنَّ السماوات السبعِ هي طباقًا، وما السماءُ القريبة منا إلاَّ سماء واحدة لا غير.
- ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾: الفوت الفرجةُ بين إصبعين والفوت بُعدُ الشيء عن الإنسان بحيث يتعذَّر إدراكُه؛ والتفاوت الاختلافُ والتباعد والتباين في

الأوصاف والقيمة، بين شيئين أو أكثر.

- وليس في خلق الرحمن ما يخرج عن مقتضى الحكمة بوصف من الأوصاف؛ أي لا خلل في خلق الله تعالى فيما خلق له من وظائف كونية. وشأن الكون كشأن القرآن كمالا وإحكامًا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: 82]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:22].
- ولقد أظهر الله تعالى اسمه الرحمن في موضع الإضمارِ، ولو شاء لقال: (مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِهِ مِن تَفَاوُتٍ)؛ تنبيها لنا إلى أنَّ هذا النظامَ والتناسقَ، وعدم الاختلال والاختلاف، هو من مظاهر رحمته تعالى بخلقِه، وبالناس الذين يحيون تحت رحمة الله ونعمته؛ ولو اختلَّ شيءٌ واحدٌ في كونه سبحانه لاستحالت الحياة.
- ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾: رجعُ البصر تكريره، والرَّجع العود إلى الموضع الذي جاء منه؛ والفُطور جمع فَطْر وهو الشقُّ والصدعُ؛ وفي التنزيل الحكيم سورةٌ باسم «الانفطار»، وفيها: ﴿إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ﴾[الانفطار:1].
- ومؤدَّى الآية أن أُنظر الكرَّة تلو الكرَّة، وعاوِد النظر مرَّة تلو مرَّة؛ فإنك لن ترى ما يخرج عن التسوية والنظام، لن ترى شُقوقًا في السماء، ولن توجد هذه الفطور إلاَّ حين يختلُّ الكون لقيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ...﴾الآية.

- الآية دالَّة على الأمرِ بالنظر والبحث في الكون، بمنهج علميٍّ دقيقٍ، يبحث عن الخلل الذي لن يجده أبدا، ويهتدي إلى عظمة خلق الله تعالى، وإلى النظام الذي يُحكم هذا الكون الفسيح؛ بل البحثُ في الخلق جميعا، لا في الكون فقط؛ وما من اختلالٍ إلاَّ ما أحدثه الإنسان الكافر في حركة الحياة من اعوجاجٍ وفسادٍ، وظلمٍ وجورٍ.

التشغيل والتفعيل

- القاعدة الكلية المستنبطة من الآية: «كلُّ فاعل كان فعله متقنا محكَما، لا بدَّ وأن يكون قادرا عالِما حكيمًا».
- يُلحق بحكم النظر والإبصار وإرجاع البصر في الكون كلُّ ما هو من وسائل الكشف العلميِّ: المَجاهر، والتلسكوبات، ومركبات الفضاء، والأقمار الصناعية، والمراصد... ومن ثم وجب على المسلمين التفوُّق فيها، ولحاقُ ركب البشرية في اختراعها وصناعتها والتحكُّم فيها.
- في كتاب «من الكمون إلى الفعل الحضاري» نطالع: «أمَّا ضبط العلاقة بالكون، فهو مؤثر على فهم ظاهرة «التسخير»، وما يستتبعها من آثار، مِن مثل المسؤولية المعنوية للمحافظة على كلِّ المخلوقات، بموجب الشرع لا بمجرَّد التخمين؛ ثم الانتفاعُ بكل ذلك في حدود المعقولية،

وكذا يحدِّد العلاقةَ بالثروة، والمال، والتكنولوجيا، ويجيب على إشكالات الممارسات المخبرية في المعرفة العلمية والتطبيقية».

- يقول زهير الكرمي: «الإنسان أثمن ما في الوجود؛ غير أنَّه قلما يتصرف في ضوء هذه الحقيقة؛ وينجُم عن ذلك مشكلاتٌ، بدأت تتزايد وتتفاعل حتى أصبحت مصدر تهديدٍ حقيقٍ لحياة الإنسان على هذا الكوكب».

من الفكر إلى الفعل

- النظر في الكون من أجلِّ العبادات التي أعرض الناس عنها، وهم حين يفعلون يكون ذلك لحصولِ علمٍ، لا لاستحصال إيمانٍ؛ وهذا انحراف في المنهج خطير.
- «النظر في أدلّة الصفات واجبٌ لمن عرض له داع إلى الاستدلال» وترك الواجب اقترافٌ للمحرم، فهلا اعتبرنا.
- دراسة الكون مع غياب الرؤية الكونية مؤذن بهلاك شديد، يكون الإنسان أوّل ضحاياه.
- قال تعالى: ﴿قُلُ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُومِنُونَ﴾؛ فالإيمان أصل النظر وغايته، والنظر شرط للإيمان وسببُه؛ والانفصام بين الإيمان والنظر في الكون تشوُّه وظلم وجحود وكبرياء.
- للقراءة: «**تفسير نظم الدرر**» للإمام البقاعي، و«**من الكمون إلى الفعل الحضاري**» محمد باباعمي وطه كوزي. و«**العلم ومشكلات الإنسان المعاصر**» زهير الكرمي، ضمن سلسلة عالم المعرفة.

قال الله تعالى:

ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ ﴿4﴾

بذور المعنى

- ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: إرجاع البصر دالٌّ على النظر المتواصِل، والتأكيد بكرَّتين دالٌّ على الكثرةِ: أي مرَّة تلو مرَّة؛ وليس المقصود منه التثنيةَ؛ والعرب يذكرون التثنية في بعض المقامات ويقصدون بها التكرار؛ والمعنى هو مداومة النظر ومواصلته بلا كلل ولا تعب ولا كسل؛ والنظر إمَّا أن يكون بالعين المجرَّدة، أو بالمراصد، أو باعتماد الحسابات الرياضية... أو بجميع ما سُخِّر للبحث في الوجود، من المتناهي في الصغر إلى المتناهي في الكبر.

- هي دعوة إلى مداومة «عبادة استكشاف النظام» في خلق الله تعالى، وهو مجال تخصُّصات كثيرة، مثل: الكوسمولوجيا، علم الفلك، علوم نظام الأرض.
- ﴿يَنقَلِبِ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: صورةٌ ذهنيَّةٌ فنِّيَّـةٌ رائعةٌ، تحوَّل فيها البصر إلى كيان مسافرٍ عبر أقطارِ السماوات والأرض، باحثًا عن الاختلال والاختلاف، راصدًا للخلل والفُطور؛ ثم بعد زمن طويلٍ عادَ المستكشِف خاسئًا ذليلاً، حسيرًا كليلاً، متعَبًا مرهقًا؛ لأنَّـه لم يجد أيَّ اختلاف ولو يسيرٍ، ولم ينل غرضَه من الحصول على الفطور المزعوم.
- كأنَّ هذه هي حال مراكز البحث العالمية اليومَ، وهي تبحث وتجتهد في البحثِ، من منطلق ماديٍّ إلحاديٍّ؛ ولا تنتهي إلاَّ إلى اكتشاف التناسُق والنظام، الدالِّ على وجود خالق عليم؛ وهي لو وجدت شرخا واحدًا لأعلنته أمامَ الأشهاد، ولتبجَّحت به؛ غير أنها حين حوَّلت العلم إلى إيديولوجية، وقررت قتل الإله والمطلق في منظومتها المعرفية؛ حين فعلت ذلك لم تزد البشرية المرهقة إلاَّ رهقًا وحسرةً ويأسًا.

التشغيل والتفعيل

- علوم نظام الأرض حسب تعريف مركز كارلتون: «يشمل

الكيمياء، والفيزياء، وعلم الأحياء، والرياضيات، والعلوم التطبيقية؛ في تجاوز الحدود الموضوعية لمعالجة الأرض كنظام متكامل؛ وهو يسعى إلى فهمٍ أعمق للتفاعلات الكيميائية والبيولوجية والإنسانية التي تحدّد حالة الأرض في الماضي والحاضر والمستقبل. وعلوم نظام الأرض توفّر أساسا لفهم العالم الذي نعيش فيه» وهو علم يُدرس في بعض الجامعات الكبرى عالميًّا، ولكن للأسف لا يُعرف في جامعات العالم الإسلامي، الذي عصا أهلُه الله تعالى في حقل البحث العلمي، ولا يزالون.

الحسير هو الكليل؛ والكلل سببه قوَّة التأمُّل والتحديق مع تكرار ذلك؛ ثم هو لا يهتدي إلى ما أغريَ به من إيجاد خللٍ وفطور في كون الله تعالى؛ ولكن لو أرسل الواحدُ بصره في صنعٍ من صُنع البشر لِوقت قصير، فإنَّه سيجد من أنواع الخلل ما لا يحصى؛ وسبحان الله الذي يتّصف ما يخلقه بالكمال المطلق، وَمَن دون الله تعالى مهما أبدع وأتقن فإنّ ما يصنعه يتّصف بالخلل المطلق؛ وشتان بين خلق وصنعة: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: 11].

من الفكر إلى الفعل

- بات واجبا مؤكَّدا أن يؤسَّس لمراكز البحث العلميّ في مجالات الكون، وفي مختلف حقول الفيزياء بشقيها: «متناهي الكبر» و«متناهي الصغر»؛ وأرى أن يخصَّص لها من الزكاة نصيبٌ، ومن الوقف نصيبٌ، ومن تبرعات الأثرياء والمحسنين نصيب، ومن المال العام النصيب الأكبر؛ لتقف على رجليها شامخة، وتنافس المراكز العالمية في ذات المجال؛ وإذ لم نفعل فإننا سنخسر معركة المعرفة والوعي والتمكين؛ وهي أسوء أثرا وتابعا من المعركة العسكرية والحروب المباشرة.
- حين النظر في كون الله تعالى الفسيح نُقِرُّ ونقول: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.
- طالع: «**الكون الأنيق**» بريان غرين.

قال الله تعالى:

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ
وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿5﴾

- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: السماءُ الدنيا، هي السماء الأولى من بين السماوات السبع، المذكورة آنفًا، وهي التي جعلها الله تعالى طِباقا.
- وهل هي المجموعة الشمسية كما يفسّرها البعض؟، الرّاجح أنّها غير المجموعة الشمسية التي لا تعدو أن تكون قطرة في بحرٍ، وذرَّة في فلاة؛ إذا ما قورنت بسعة الكون وأبعاده اللامتناهية.
- وهل تدخل جميع السموات ضمن الفضاء المرصود؟،

وهل تندرج ضمن الفضاء المحسوب، غير المرصود؟ أم أنَّ ما نرصُده، وما توصَّلنا إلى حسابه، ما هو إلاَّ جزءٌ يسيرٌ من حقيقة الكون الفسيح، لعلَّ كلَّ ما توصَّلنا إليه لا يتجاوز السماء الأولى؟ الله تعالى أعلم.

- ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾: قيل المصابيحُ ليست هي النجوم، وإنما هي الشهبُ التي تزين سماءنا، ويُرجم بها الشياطين، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[الجن:8].
- وقيل المصابيح هي الكواكب تنفصل منها الشهُب وترجم بها الشياطين.
- غير أنَّ هذا التوجيه علميٌّ ماديٌّ يفسَّر به مجال مختلفٌ هو فوق إمكانات العلم والملاحظة العلميَّة، إنَّه مجالُ الإيمان لا العلم؛ ولا ريب أنَّ عالَم الشياطين ليس من اختصاص العلوم التجريبيَّة، وإنما هو من اختصاص النصوص الدينيَّة القطعيَّة.
- لا بدَّ من الربط بين معنى هذه الآية، وما ورد في سورة الجنّ من أمر الحرس الشديد والشهب، وعلاقة الجنّ بالإنس، وبسماع تلاوة كلام الله تعالى؛ وما حدث حين نزل الوحي على محمد ﷺ من حراسة السماء، ومطاردة الشياطين؛ وانتفاء استراق السمع: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن:9].

- ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾: هيَّأ الله تعالى للشياطين نارًا مستَعرة، وعذابًا شديدا أليمًا. وبهذه الآية يتم الانتقال من أحكام الدنيا وهي الرجم للشياطين بالمصابيح، إلى تعذيبهم بالسعير ونار جهنم في الآخرة؛ وهذا المعنى داخل تحت منظومة «الإيمان» مُطلقا، وليس للعلم دليل يثبته أو ينفيه.

التشغيل والتفعيل

- نلاحظ أنَّ الآيات الكونية نوعان: نوعٌ علميٌّ محضٌ، يمكن البحث فيه والقول بما وصلت إليه المعلومات والنظريات الحديثة، مع الإقرار أنَّ ما انتهينا إليه ليس مبلغ العلم، ولا ما جاءت به النظريات هو الحقيقة المطلقة؛ ونوعٌ آخر كما في هذه الآية يجمع بين ما هو تحت إمكان العلم، وما هو خارج الإمكان العلميّ: فتزيين السماء الدنيا بمصابيح من النوع الأوَّل، ورجم الشياطين بها لا يندرج ضمن البحث العلميِّ الماديِّ؛ والواجب هو الإيمان به بلا تكلُّف ولا ليٍّ لأعناق النصوص.
- الآية مقسَّمة إلى ثلاثة أقسام: **الأوَّل** داخل تحت إمكان العلم، و**الثالث** داخل تحت باب الإيمان، و**الوسط** حدٌّ فاصل بينهما جامعٌ للسياقين.

- يقول الإمام الرازي في التفسير الكبير: «السماءُ الدنيا: السماء القربى؛ وذلك لأنها أقرب السموات إلى الناس، ومعناها السماء الدنيا من الناس؛ والمصابيح السرُج سميت بها الكواكب؛ والناس يزيِّنون مساجدهم ودورهم بالمصابيح؛ فقيل: ولقد زيننا سقف الدار الذي اجتمعتم فيه بمصابيح؛ أي بمصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة».
- كان الناس في الجاهلية يقولون حين يرون شهابا: «يولد عظيم، أو يموت عظيم» فصحَّح لهم رسول الله ﷺ معتقدهم، وفي الحديث الذي رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينا النبي ﷺ جالسًا في نفرٍ من أصحابه إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال: **ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا حدث مثل هذا؟** قالوا: كنَّا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم. قال عليه الصلاة والسلام: **فإنها لا تُرمى لموت أحدٍ ولا لحياتِه، ولكنَّ ربَّنا تعالى إذا قضى الأمرَ في السماء سبَّحت حملةُ العرش، ثم سبَّح أهل السماءِ، وسبَّح أهل كلِّ سماء حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء؛ ويستخبر أهل السماء حملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ولا يزال ذلك الخبر من سماءٍ إلى سماءٍ إلى أن ينتهي الخبر إلى هذه السماء، ويتخطَّف الجنُّ فيُرمون، فما جاءوا به فهو حقٌّ، ولكنهم يزيدون فيه**»[رواه مسلم].

من الفكر إلى الفعل

- لا يقبل الخلط بين ما هو من مستوى العلم وما هو من مستوى الإيمان؛ فلكلّ منظومة أصولها وأسسُها ومجالها.
- الآية دليل على ما تقدم في استهلال السورة من أنَّ الله تعالى ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولا نملك إلاَّ أن نعترف للواحد الأحد، ونستسلم للعليم القدير؛ سبحانه.
- إنَّ السماء لا تحزن لفراق أحد، ولا تمطر بنوء أحد؛ ولكنه قضاء الله وقدره؛ ربنا آمنا بك، وخضعنا لقضائك وقدرك.
- للقراءة: «**التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**» فخر الدين الرازي. و«**التناظر والكون الجميل**» ليون ليديرمان، وكريستوفر هيل.

قال الله تعالى:

وَلِلذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِيسَ الْمَصِيرُ ﴿6﴾ إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿7﴾

بذور المعنى

- ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: ذكَّر الله تعالى عباده بآيات عظمته وربُوبيته، ثم أورد آياتِ الوعيد لمن لا يعتبر بها منهم، ولمن يكفر به سبحانه، ويجحد نعمَه وفضله؛ فهؤلاء أعدَّ الله لهم عذابا شديدا في جهنم.
- ﴿وَبِيسَ الْمَصِيرُ﴾: مصير من كفر بالله تعالى في الدنيا هو العذابُ الأليم يوم القيامة، ولقد أنذره الله تعالى بكتابه، وقرآنه، وهو حرٌّ مخيَّرٌ، قادرٌ على التوبة والأوبة لو أرادَ؛ ولكن من استكبر وطغى، وعاند وتجبَّر، فإنَّ المصير البئيس الحزين هو مآله ومسكنُه.

- ﴿إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾: أخبرنا الله تعالى أنَّ الملائكة الغِلاظ الشِّداد هم الذين يُلقُون أصحابَ النار في النار، مثلما يُلقى الحطب ليشتعل؛ وذلك بأمر من الله تعالى، وهم لا يعصون له أمرا؛ قال تعالى: ﴿اَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[ق:24].

- ثم صوَّر لنا ربُّنا نار جهنم وهي تشارك في تعذيب الملقَوْن فيها، وتعبر عن حنقها وغيظها: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، وإذا سألها الله تعالى: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ تجيبه: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق:30]؛ وهي في هذه الآية تشهق، والشهيق هو «تردّد النَّفَسِ في الحلق حتى يُسمعَ له صوتٌ»، فالنار مثل كائنٍ له نفَس، وحَلق، تصدر صوتا مثل الشهيق، دلالةً على الغيظ والحنق لمن عصى الله تعالى، فاستحقَّ هذا المصير الأليم.

- ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: الفوران هو ارتفاع الغليان؛ ونار جهنم تغلي وتفور ويشتدُّ حرُّها كلَّما ألقيَ فيها فوجٌ من الكفَّار؛ ذلك أنهم هم أنفسُهم وقودُها ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:6]؛ وأنها طائعةٌ لله تعالى طيِّعة، مبغضة لمن كفر وظلم، معبِّرة عن ذلك بأبلغ صورة.

التشغيل والتفعيل

- الله تعالى قادرٌ على كلّ شيءٍ، وهو مع ذلك لم يخلق

الكون عبثًا بلا هدفٍ ولا نظام؛ وإنما خلق الخلق للابتلاء والاختبار؛ فمن آمن منهم كان مصيرُه الجنة، ومن كفر فمصيرُه النار؛ ومن لم يكن مكلَّفا كان مجبرا طائعًا طيّعا، ولا ثالث لهذه الأصناف في كون الله تعالى.

- لهذه الآية مناسبة مع فاتحة السورة حول الابتلاء؛ وكأنَّ هؤلاء هم الذين خسِروا وفشلوا في الامتحان: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فهؤلاء هم أسوءُ عملا، وأضلُّ سبيلًا.

من الفكر إلى الفعل

- المؤمن يستغفر الله ويستعيذه من النار ولا يفتر في ذلك: «أستجير بالله من النار».
- يبقى السؤال المحيّر: كيف يتلقَّى الكافر، بلغات مختلفة وكثيرة من لغات العالم، مثل هذه الآيات البيّنات؟ وبأي أسلوب؟ وكيف يفهمها؟ وهل حقّا بَلَغَتْهُ كما يجب أن تبلُغَهُ؟ وما دور المسلمين في ذلك؟ فهل بلغوا دين ربهم؟ أم فرطوا في ذلك؟
- تفضح مثل هذه الآيات تشوُّه التصورات، والعلوم جميعها، والنظريات الفلسفية والعلمية المعاصرة... حيال الحقيقة الكونية، التي مصدرُها الوحي، والتي لا تتنكر للتجربة، ولكن تُنزلها المنزلة اللائقة بها.
- للقراءة: «**الرؤية الكونية القرآنية**» عبد الحميد أبو سليمان.

قال الله تعالى:

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَاتِكُمْ
نَذِيرٌ ﴿8﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ
اِنَ اَنتُمُۥٓ إِلَّا فِى ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿9﴾

بذور المعنى

- ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: الغيظُ شعورٌ بالغضَب الشديد من إساءة يُلْحِقها به أَحدٌ، وهو أشدُّ أنواع الغضب؛ أمَّا فعل ﴿تَمَيَّزُ﴾ فمعناه تنفصل وتتجزأ أجزاءً؛ ومدلول الآية: يكاد بعض النار ينفصل عن بعضٍ من شدَّة الغضب، وأيُّ إساءة أكبر من الكفر والظلم والفساد؛ ويحتمل أن يكون الذي ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ هم زبانية جهنَّم، ونسب لجهنَّم مجازا.
- ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَاتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: الحوار بين ملائكة النار وأهل النار، وبين الكفَّار الذين

يعذَّبون فيما بينهم، وبينهم وبين المؤمنين الذين ينعَمون بالجنة خالدين فيها أبدًا؛ هو حوار مستفيضٌ في القرآن الكريم، ورد في العديد من السور، بأساليب شتى؛ وله وقعٌ مؤثر على النفس إذا هي تدبَّرت واعتبرت.

- وفي هذه الآية تذكير بسبب العذاب الذي حاق بأهل النار؛ وذلك على صيغة السؤال الإنكاريِّ: ألم يأتكم نذيرٌ؟ وهل أنتم جاهلون بهذا المصير؟ ألم تخافوا مثل هذا اليوم؟ ولا يكون الجواب إلاَّ عليهم لا لهم.

- ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾: هم أنفسهم اعترفوا أنَّ الرُّسل أدَّوا واجبَ التبليغ، وأنذروهم مغبَّة الشرك والكفر؛ بل إنَّ مهمَّة الإنذار في رسالة الأنبياء أسبق من مهمَّة التبشير؛ فكلُّ نبي يقول لقومه: لا تعبدوا إلَّا الله ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾، ولا توجد أمَّة لم يصلها نذيرٌ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر:24]. إلاَّ أنَّ هؤلاء جحدوا وكذَّبوا، فكان مصيرهم النار وبئس المصير.

- ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنَ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾: لم يكتف الكفار بالإنكار والتكذيب؛ ولكن أفرطوا ثم جادلوا الحقَّ بباطلٍ لا حجَّة له ولا برهان: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[غافر:5].

- ولم يقفوا عند عتبة الجدال بل إنهم بدَّلوا الحقَّ باطلا، والباطلَ حقًّا؛ وقَلَبوا الموازين؛ فقالوا للرسول وللمؤمنين

معهم: ﴿إِنَ اَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَالٖ كَبِيرٖ﴾. إذن هم يعرفون الضلالَ والرشدَ، ويفرِّقون بين الحقِّ والباطل؛ وإنما حملهم جُحودهم وتكبُّرهم على التكذيب، وعلى قلب الحقائق وزرع معاني الرَّيْب؛ فنالوا بذلك أشدَّ الوعيدِ.

- من أمثلة جدال الكفَّار للمؤمنين ما ورد من قصص النبيِّين في سورة الأعراف، وتكذيبِ كلِّ قوم نبيَّهم، مع رميهم بشتى أنواع الضَّلال والفساد والخسران؛ فكان عاقبتَهم عذابٌ في الدنيا، ونار جهنَّم في الآخرة؛ وهذا مصير كلِّ من جَحد وتكبَّر وكفر برسالة سيدنا محمد ﷺ؛ وكثيرٌ هم المكذِّبون والمعاندون اليومَ بشتى صنوف التكذيب والعِناد، تحت مسمَّيات وهمية أحيانًا، ومِن أبناء المسلمين أنفسهم أحيانا أخرى.

التشغيل والتفعيل

- أهل الفترة لا يسألهم الله تعالى يوم القيامة عن النذير، ولا يحاسَبون على الأحكام الشرعية؛ ذلك أنهم لم يتلقَّوا رسالة، ولم يؤمَروا بحكم؛ بل يكفي أن يُسألوا عن التوحيدِ في كلياته، بلا اسم ولا تعيين؛ يكفي أن يعترفوا بعقولهم بوجودِ قوَّة وراء ما يشاهدون من أكوان، ولا يُسألون فوق ذلك شيئا. والسؤال اليوم: هل انتهى أهل الفترة بعد رسالة

محمد ﷺ؟ هو بحث جليل، له أكثر من بُعد في العقيدة والشريعة.

- في قول أهل النار: ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ منتهى الإنكارِ والجحود؛ ذلك أنهم نفوا أيَّ شيء حتى ولو كان قليلاً أو صغيرًا، وهم حين عاينوا العذاب اعترفوا بأنهم كانوا على صلفٍ ووقاحة وغرور.
- ﴿كُلَّمَآ﴾ مركَّب من «كلّ» وهو اسم دالٌّ على الشمول، و«ما» الظرفية المصدرية، وهو حرف يؤول مع الفعل الذي بعده بمصدره؛ والتقدير: في كلّ وقت من أوقات إلقاء الكفار النار... ورياضيا تكون كلما بمعنى الفرض أو الافتراض.
- يقول الإمام الرازي: «احتجَّ القائلون بأنَّ معرفة الله وشكره لا يجِبان إلاَّ بعد ورود السمع بهذه الآية، وقالوا: هذه الآية دلَّت على أنه تعالى إنما عذَّبهم لأنه أتاهم النذير، وهذا يدلُّ على أنه لو لم يأتهم النذير لما عذَّبهم».

من الفكر إلى الفعل

- الإنسان معترف لله سبحانه بالألوهية والربوبية والقدرة والقهر؛ فإما أن يكون اعتراف تسليم وإيمان فهو نافع لصاحبه، منج له في الدنيا والآخرة؛ أو يكون ذلك جبرا وقهرا، فلن ينفعه في شيء.
- النذُر والرسل حجَّة لك أو حجَّة عليك؛ وهم في جميع الحالات سبب للإيمان، أو باعثٌ منك للكفران.
- الضلال كبير في ذاته، وإذا وصفه الجبَّار بأنه كبير؛ فتلك مبالغة في هوله وبُعده وفحشه؛ والنكرة دالة على أنَّ هذا الضلال واسعُ المعنى، دالٌّ على كلّ ما كان سببا في شقائهم الأبدي؛ وهذا حتى ولو بدا صغيرا فهو عند الله عظيم: ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾.
- للقراءة: «**مشارق أنوار العقول**» نور الدين السالمي؛ و«**رسائل النور**» بديع الزمان النورسي.

قال الله تعالى:

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ﴿10﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ﴿11﴾

بذور المعنى

- ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾: قال أحدُهم على لسانهم، أو قالوا جميعُهم واحدا واحدا، أو قالوا بلسان حالهم لا بلسان مقالهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ جوابا للملائكة الذين سألوهم: ألم يأتكم نذير؟ ألم تسمعوا ما قال لكم؟ ألم تعقلوا ما جاءكم به من الحقِّ المبين؟ فأجابوهم: لو كنَّا نسمع، ولو كنَّا نعقل، ما كان مصيرنا اليوم أن نُحشر مع أصحاب النار المستعرة.
- وأصحاب السعير إمَّا هم الشياطينُ، لدلالة السياق؛ أو هم جملة الداخلين النارَ من المكذبين.

- وليس أصدق من اللصِّ حين يُقبض عليه، ولا من الشيطان حين يتعيَّن دخوله جهنم؛ فكلٌّ منهما يتحوَّل إلى واعظ حكيم، ولكن بعد فوات الأوان.
- ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾: هي ساعة الاعتراف، ولا يملكون التملُّص والمراوغة كما ألِفوا في الدنيا؛ وقد يكون الاعترافُ بألسنتهم أو بجوارحهم: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[فصلت:21]؛ وفي سورة النور: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النور:24].
- ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: يقال لهم يوم القيامة: سُحقًا وبُعدا، لمن لازَم النار حتى صار من أصحابها؛ وحتى ألِف السعير فنُسب إليه.
- وسحَق الشيءَ: طحنه ودقَّه أشدَّ الدقِّ، وسحقته سيارة محقتْه وأهلكته وقتلته وقضت عليه، وكلُّ هذه المعاني واردة في سياق الآية؛ والسعيرُ نار شديدةٌ ملتهبة مستعِرة، لا تنطفئ، أخذت من سعَر النار إذا أوقدها وهيَّجها.

التشغيل والتفعيل

- قال النبي ﷺ: «**إني فرطكم على الحوض، من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا؛ ليرِدنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم ... فأقول: إنهم مني. فيقال:**

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؛ فأقول: سُحقًا سُحقًا لمن غيَّر بعدي»[رواه البخاري]، ورواية الربيع: «**وليُذادنَّ رجالٌ عن حوضي، كما يُذاد البعيرُ الضالُّ؛ فأناديهم: ألا هلمَّ؛ فيُقال: إنهم قد بدَّلوا بعدَك، فأقول: فسُحقًا فسُحقًا**»[الجامع الصحيح] وقال ابن عباس: سُحقًا أي بُعدًا.

- جمعت الآية بين السمع والعقل ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ لأنَّ مدار التكليف ومناطه يقوم على أدلَّة السمع والعقل؛ وفي تقديم السمع على العقل، رغم كون العقل هو السيّد، وهو المتحكم في السمع، ما يدعو إلى البحث؟ ومن التوجيهات أنَّ المتلقي يبدأ بسماع الوحي والخطاب من النبيء ﷺ ثم بعد ذلك يتفكر فيه، ويعمل عقله في محتواه.
- احتجَّ من فضَّل السمع على البصر بهذه الآية، والصوابُ أن لا تفاضل بينهما، وأنَّ الأفضلية في كل نعم الله أن تسخَّر لما خلقت له، وأن تكون طائعة طيّعة لربها كما أمر.

من الفكر إلى الفعل

- احتجَّ ثلة من العلماء بهذه الآية أنَّ الدين لا يتمُّ إلاَّ بالتعليم؛ ومن ثم كان تعليم الناس دين الله تعالى أعظم رسالة في الوجود، وأعظم مهمَّة في الكون، ولقد أسندت أساسا إلى الأنبياء والرسل، ثم إلى ورثتهم من العلماء من بعدهم.
- السمع والعقل من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، وفيهما الفرق بينه وبين الحيوان؛ ومن تمام شكر النعمة استعمالها لما خلقتا له: ﴿كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾.
- يقول أبو حامد الغزالي: «فلا غنى بالعقل عن السماع، ولا غنى بالسماع عن العقل. فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور، فإياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعاً بين الأصلين، فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية».
- للقراءة: «**إحياء علوم الدين**» لأبي حامد الغزالي.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾

بذور المعنى

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: بهذه الآية تحوَّل الخطاب القرآنيُّ إلى المؤمنين، وقد ذكر من قبل حال الشياطين، وحال الكفَّار، ومصيرهم.
- ومن أعظم الأوصاف للمؤمنين أنهم يخافون الله تعالى وهو غيبٌ؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:3].
- الخشية من أعمال القلوب، وهي أخصُّ من الخوف، والخشية لا تكون إلاَّ مع إجلال مَن تخافُه ومع تعظيمه؛ إضافةً إلى الحذر من بطشه وقوَّته وعقابه؛ وذكرُ الخشية في

هذا المقام لأنه مقامُ إنذار ووعيدٍ فناسبته الخشية.

- والخشية مما يخصُّ به الله تعالى وحده، ولا يشرك فيه أحدٌ من خلقه، ففي سورة المائدة: ﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:44]، وفي سورة آل عمران: ﴿الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران:173].
- ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: لهم ثواب كبيرٌ من الله سبحانه على خشيتهم، وعلى مقتضى تلك الخشية من إيمانٍ وعملٍ صالح؛ والأجر والثواب متعلقان بالمغفرة والتوبة؛ أي إنَّ التوبة إلى الله سبحانه، والتنصُّل من المعاصي، والاستغفار لما بدر منها؛ كلُّ ذلك مقدّمة وسببٌ للأجر الكبير.

التشغيل والتفعيل

- فضل من آمن بالمشاهد والمحسوس أقلُّ من فضل الذي آمن بالغيب، وصدَّق بالغيب؛ ففي حديث أبي جمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تغدينا مع رسول الله ﷺ، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فقال: يا رسول الله: أحد منا خير منا؟، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟. قال: **نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني**»[رواه الحاكم].
- أجر الله تعالى كبيرٌ وعظيمٌ كيفما كان، وحيثما كان، وأينما

كان، وعلى أيِّ شاكلة وصورة كان؛ وحين يصفه الله تعالى بنفسه أنه ﴿كَبِيرٌ﴾ فإنه يدفع عقولنا إلى استحضار دلالة هذا الوصف، والاعتبار بأبعاده ومراميه.

من الفكر إلى الفعل

- الآية تشيد بمن يتقي الله تعالى، ويتقي المعاصي في خلواته؛ ذلك أنَّ من كان تقيا لله في الخلوة كان أتقى له حين الظهور والجلوة.
- في الآية يظهر جليًّا التوازنُ والاعتدال في الخطاب؛ وفي ذلك تربية للمؤمنين، وبيانٌ لمنهج الله تعالى في الدعوة إليه؛ فلا تخويف يغلُب، ولا رجاء يطغَى؛ وإنما هو خوف ورجاءٌ، أمل وعمل ووجل.
- قال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفارَ، جعل اللهُ له من كلّ همٍّ فرجًا، ومن كلّ ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**» ولا ريب أنَّ ملازمة الاستغفار من أوكد ما يحتاج إليه المؤمن أوان الفتن، مثل الوقت العصيب الذي يعيشه المسلم اليومَ، عبر العالم.
- للقراءة: «**تأملات**» مالك بن نبي؛ و«**عصرنا والعيش في زمانه الصعب**» عبد الكريم بكار.

قال الله تعالى:

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿13﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿14﴾

بذور المعنى

- ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾: جاء في كتاب «أسباب النزول» للواحدي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنَّ الآية نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فخبَّره جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بما قالوا فيه، وبما نالوا منه، فيقول بعضُهم لبعض: أسرُّوا قولكم لئلاَّ يسمع إلهُ محمد».
- والآية لا تقتصر على خصوصِ السبب، بل هي عامَّة لكلِّ الناس إلى يوم القيامة؛ وهو إخبار لهم أنَّ كلَّ ما تلفظون به من قولٍ، سواءً أسررتموه أم جهرتم به، فإنَّ الله تعالى يعلمُه. وتقديم الإسرار على الجهر لكون السياق سياق

الإخفاء، فإن كان تعالى يعلم السرَّ فهو بعلم الجهر أولى.

- ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: الله تعالى لا يعلم القول حين يُلفظ باللسان فقط، ولكنَّه عليمٌ به قبل أن يُلفظ، وحين يكون مكنونًا في القلوب؛ وذاتُ الصدور يقصد بها خواطر القلوب، وعقائد الناس، وخلجاتُ أفكارهم... وكلُّ ما يخفيه القلب والعقل من معنى لا يطلع عليه غيره: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الاَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر:19]، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ اِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:18].

- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾: الذي خلق خلقًا لا بدَّ أن يكون أعلم به من الذي لم يخلقه؛ والاستفهامُ إنكاريٌّ، أي كيف لا يعلم ذلك وهو الخالق له سبحانه؟، ولا يكون الجواب تقريرًا، ولا يملك أحد نفي ذلك حتى وإن ادعاه.

- ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: اللطيف معناه كما ذكر الزجاج: «فِي وصف الله يُفِيد أَنه المحسن إِلَى عباده فِي خَفَاء وَستر؛ من حَيْثُ لَا يعلمُونَ، ويسبب لَهُم أَسبَاب معيشتهم من حَيْثُ لَا يحتسبون» وهو كذلك «العليم بدقائق الأمور وخفاياها».

- والخبير هو العليم علمًا مُطلقا لا يخفى عليه شيءٌ منه، وهو المتحكِّم سبحانه فيما يعلَم، وفي الخبرة معنى زائدٌ عن العلم؛ ولقد ورد في القرآن الكريم مقترنا باللطيف، وبالحكيم، وبالعليم. وهي معانٍ يفسِّر بعضُها بعضًا.

التشغيل والتفعيل

- وردت صيغة ﴿ذَات الصُّدُورِ﴾ في القرآن الكريم ستَّ عشرة مرَّة؛ وفي اثنتي عشر مرَّة كان فاصلة للآية، وجاء بصيغة: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.
- تتضمَّن الآية معنى أنَّ من خلق شيئًا فهو عليم بخلقه؛ فهو الذي خلق الصدورَ، وما يختلج في الصدورِ، وأصحاب تلك الصدورِ؛ فلا غرو أن يكون عليمًا بها، خبيرًا بما يمور فيها.

من الفكر إلى الفعل

- من علم أنَّ الله مطَّلع على ذات صدره، وعلى ما يخفي عن الخلق؛ كان عابدا من مقام المراقبة والوجل من الله سبحانه؛ وجميعُ معاصي الخلق إنما مردها إلى الغفلة عن هذا المعنى العميق، أو الشك فيه، أو تكذيبه والكفر به.
- ليس العبد يعلم خفايا صدره، فكيف يمكنه أن يعلم خفايا صدور الآخرين؛ فسبحان الله الذي استأثر بعلم ما في صدور الناس جميعا.
- من الدعاء المأثور: «اللهم إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، ولا يخفى عليك شيء في الارض ولا في السماء».
- من أقوال الحكماء: «ومن رحمة أنَّ المعاصي لا تفوح» فإنَّ الله تعالى عليم بها، لطيف بنا؛ ولو فضحنا على ما نخفي من معاصي لما سلم أحدٌ منَّا؛ فالله سبحانه يستر على عباده فليستروا هم على أنفسهم وعلى الآخرين.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿15﴾﴾

بذور المعنى

- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: الأرض هي المهد الذي يسير عليه الإنسان، ويتحرَّك فيه، ويسكنُ إليه؛ ولو كان هذا المهدُ غير مذلَّل، أو كان مرتجًّا مهتزًّا، لما قدَر الإنسان أن يعيش فيه؛ ولكنَّه بفضل الله تعالى سخَّره وذلَّله لكلِّ ما ينفع الإنسان: من زرعٍ، وبناءٍ، وسيرٍ، وراحةٍ... وليس للإنسان شيءٌ من ذلك.
- من دلالات الذَّلول «من زاوية علمية» أنَّ الأرض ليست صخرية صلدةً جميعها، وإلاَّ لاستحال العيش عليها؛ وأنها مذللة للحفر واستخراج الماء والزرع والبناء؛ ولو كانت

الأرض من معدن مثل الذهب أو الحديد لكانت شديدة السخونة صيفًا، شديدة البرودة شتاءً؛ صعبةَ المراس، بل تستحيل الحياة فوقها.

- ومن المعاني كذلك أنَّ الله تعالى أمسكها في جوِّ السماء، وأمسك السموات أن تخرَّ عليها: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ ان تَقَعَ عَلَى الاَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحج:65].
- ودليل نعمة التذليل أنَّه حين تزلزل الأرض في مكانٍ، لبضعِ دقائق، فإنَّ الفاجعة تحلُّ بالناس، وحين تتهدَّدهم الأعاصير والفيضانات، يفقدون كلَّ ثقة في العيش، ويهاجرون إلى أرض ذلـولٍ، يبتغون العيش فيها؛ وقد يستحيل عليهم إيجادها، فتكرَّر عليهم المصائب جيلا بعد جيلٍ. فمن الذي ذلل هذه الأرض؟ الله وحده، سبحانه ﴿هُوَ﴾ الذي ذلَّلها، وهو الذي برحمته جعلها ذلولاً.
- ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: المنكب من كلِّ شيء ناحيتُه، والمنكبُ من الإنسان مجتمعُ رأس العضد والكتفِ، ومنكب الأرض جانبُها، والمرتفعُ منها، وناحيتُها. والأمرُ بالسير في الأرض واردٌ في كثير من آيات الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الاَرْضِ فَانظُرُوا﴾. أمَّا بلفظ المشي فيقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الاَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان:63].
- ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِـهِ﴾: الـرزقُ رزق الله تعالى، وليس رزقَ الأرض، ولا هو رزقُ العباد؛ فالله تعالى هو الذي أنزله

من السماء، وأخرجه من الأرض، ولو شاء لما فعل؛ وهو الذي أذن لنا، وأمرنا أن نأكل منه حلالاً طيبا وننتفع منه؛ ولا يقصد اللفظُ مجرَّد الأكل، بل يشمل ذلك: النبات، والحيوان، والسمك، والحجر، والمعادن، والطاقة... وكلَّ ما جُعل للأكل، مما أحلَّ الله ولم يستثنه؛ وما حرَّمه فهو ليس رزقًا. ويلحق بالأكل الاستمتاعُ والانتفاعُ من مثل ما يكون من الجواهر والمعادنِ، التي لا تؤكل ولكن تنفع الإنسان حين إقامته وحين ضعنه.

- ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: أي وإلى الله سبحانه النشورُ في الأرض والنشور من الأرض، بأسلوب القصر، أي إليه لا إلى غيره العودةُ والمآب؛ وهي صورة بيانية بديعة، تجمع بين المشي على مناكب الأرض، والمشي إلى المحشر يوم القيامة؛ وفيها جمعٌ بين إحياء موات الأرض ونشور موات البشر للحساب؛ فجميعه سيرٌ، الأول اختيارا والثاني قهرا، الأول اختبارا والثاني حسابا.

- وفي سورة فاطر جمع بينهما في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾[فاطر:9].

التشغيل والتفعيل

- تكلَّف البعض البحث في الفرق بين «سارَ» و«مشَى»، وجعل لـ«سار» هدفا، أمَّا «مشى» فهو سيرٌ بلا هدفٍ؛ والتأمُّل في كلام الله تعالى ينفي هذا الفرق، والسياق يعارضه. ولعلَّ الصواب أنَّ «مشى» هو السير بالقدمين، أمَّا «سار» فيكون بهما وبغيرهما، ويقال سِرتُ بالسيارة، أو بالدابة، ولا يقال ذلك في مشيتُ.
- قيل إنَّ مناكب الأرض جبالها وآكامها، ومع ذلك فهي مذلَّلة لكم للمشي والسير عليها؛ فكيف بالسهول والوهاد؟ وكيف بسطح البحار والمحيطات، التي يُسّرت لكم؟ وبالغلاف الجوي الحامل للطائرات والمركبات الفضائية؟ كل ذلك ميسَّر من الله تعالى لكم.
- في الآية امتنان من الله تعالى على عباده، امتنان بنعمةٍ هي من أعظم النعم، وفيها تهديدٌ لهم، لمن كفر منهم به؛ أنه سبحانه قادرٌ أن يأمر الأرض فترتجَّ بهم، وأن تكون حَرونا مضطربة لا ذلولا متزنة؛ ولا أدلَّ على ذلك من أنَّها حين حلول علامات يوم القيامة: تُزلزل، وتمدُّ، وتُخسف بالناس، وتلقي ما فيها، وترتجف، وتتصدَّع...

من الفكر إلى الفعل

- في الآية أمر بالضرب في الأرض لأجل الرزق، وأمر بالاحتراف، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يحبُّ العبد المؤمن المحترف**»، والاحتراف لا يعارض التوكلُّ.
- لقي سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناسًا من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. فقال: «بل أنتم المتَّكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض، ويتوكل على الله».
- «علم حركة الأرض» مما تعنى به الفيزياء وعلم الفلك؛ وهو علم جليلٌ في حاجة إلى صياغة مؤسَّسة على رؤية كونية توحيدية، مع جدية وصرامة علمية في البحث فيه، لا مجرد التسويغ اللفظي الذي يعتمد منهج الإعجاز العلمي القاصر.
- النشور إلى الله تعالى كرها، فليجعله المسلم لله تعالى طوعا، وليفرَّ إلى الله سبحانه، ولينتشر إليه وإلى رحمته جَلَّ جَلَالُهُ.
- للقراءة: «**مع الله**» سلمان العودة.

قال الله تعالى:

ءَامِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ اَنْ يَّخْسِفَ بِكُمُ الاَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿16﴾ أَمَ اَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ اَنْ يُّرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿17﴾

بذور المعنى

- ﴿ءَامِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ اَنْ يَّخْسِفَ بِكُمُ الاَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: ليس أحدٌ في مأمن أنَّ الله تعالى خالقَ السماء والأرض قد يخسِف الأرض بمن فيها، أي يغيِّبهم فيها، ويذهبهم في باطنها، من مثل قوله سبحانه عن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ الاَرْضَ﴾[القصص:81]، أو قوله عن آل لوط: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾[الحجر:74]؛ هذا هو الخسف شكلاً ومضمونًا، حقيقةً وصورةً.
- وتمور من مارَ الشيء إذا تحرَّك بقوة واضطرب، ومار البحر هاج وماج واضطرب ماؤه؛ والله تعالى قادر أن لا يجعل

الأرض ذلولاً، بل يأمرها فتهتزُّ وتهيج بأهلها؛ كما ذكر من قبل: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الاَرْضَ ذَلُولًا﴾.

- ﴿ءَامِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ اَنْ يَّخْسِفَ بِكُمُ الاَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ (16) أَمَ اَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ اَنْ يُّرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: وهل نأمن إذا كفرنا بالله تعالى، الخالق والقدير والعزيز، أن ينزِّل من السماء عذابًا حاصبًا، أي حصَبا صغيرًا، يسَّاقط مثل المطر على الرؤوسِ، فيهلك كلَّ مَن عليها. والحاصب كذلك هو السحاب الذي يحمل حصبًا وحجارةً. أو هي ريح شديدة تقلع الحصباء من الأرض وتطاير به في جوِّ السماء.

- في سورة الأنفال ذكرَ الله تعالى أنَّ الذين كفروا هم مَن طلب إنزال الحجر من السماء: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾[الأنفال:32]؛ وفي سورة البقرة، والأعراف، والعنكبوت؛ يخبرنا تعالى بعذاب حاقَ على بني إسرائيل، وبرجز أنزله الله عليهم من السماء، فيقول سبحانه: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[البقرة:59].

- ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: وذلك حين يحيق بكم العذاب، ولا ينفعكم العلمُ يومها؛ وهو يوم قريب ستعلمون فيه علم اليقين أنَّ إنذاري إنذارٌ عظيمٌ، وأنَّ الرسل صدَقوكم في إنذارهم لكم، ولن يكون العذاب مفاجأة وبغتة، بل سيكون حقيقةً قد حُذِّرتم منها، واليومَ لا مفرَّ منها.

التشغيل والتفعيل

- مَن في السماء هو الله تعالى، أي خالق السماء والأرض، أو مَن له الغلبة والقهر والعلوُّ في السماء. والمعنى مجازي وليس على الحقيقة، ذلكَ أنَّ الله تعالى لا يتحيَّز، ولا يحويه زمانٌ، ولا يأويه مكانٌ؛ فهو فوق الزمان والمكان. والصواب في مثل هذه الآيات المتشابهات إمَّا أن تؤوَّل، أو يقال إنها بلا كيفٍ؛ ولا نرى تخطئة فريق لفريق آخرَ، ما دامت القاعدة الكلية، والمبدأ الذي يردُّ إليه الفهم، هو: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا﴾[الملك:15].
- ما ورد في هذه الآية إنذارٌ من الله تعالى لعبادِه، لعلَّهم يَرجعون فيتُوبون؛ والفرق بين الإنذار والإشعار، ذكره المناوي في قوله: «الإنذار: هو الإعلام بما يُحذَر، ولا يكاد يكون إلَّا في تخويفٍ يسعُ زمانه الاحترازَ منه، فإن لم يسَعْ كان إشعارا». وما دام الزمان واسعًا للاحتراز ففي الإنذار رحمةٌ واسعةٌ، لو عقل العباد لحمدوا الله عليها حمدا كثيرًا.

من الفكر إلى الفعل

- ﴿لَا يَامَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ومن آمن بالله حقَّ الإيمان لم يأمن مكره، ولم يقنط من رحمته.
- ﴿مَّن فِي السَّمَآءِ﴾: معناه مُلك الله، وقدرته، وسلطانه، وقهره؛ وكونها في السماء دال على العظمة والرفعة، لا على العلو المكاني المتحيز.
- «اللهم لا تأمننا مكرك ولا تُنسنا ذكرك، يا أرحم الراحمين».
- المصطلح المتداول في الهيئات العلمية الرسمية الدولية هو «الكوارث الطبيعية»، وقد أسّس علم الكوارث الطبيعية بالتبع؛ ولا يعطى له بعد دينيٌّ ولا غيبيٌّ؛ والحقُّ أنه لا تناقض بين دراسة هذا العلم، وبين الإيمان بقدرة الله تعالى، إلاَّ إذا انحرفت الرؤية الكونية للإنسان، فنَسبت القدرة والإرادة للجماد، ونفتها عن الحي القيوم ذي الجلال.

قال الله تعالى:

وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿18﴾

بذور المعنى

- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كذَّب بالنذُر الذين من قبل كفَّار مكَّة، وكفَّار أمة محمد ﷺ إلى يوم الدين، من الأقوام الماضية والسابقة على رسالة النبيء عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتي أهلكها الله تعالى، وعذَّبها عذابَ استئصالٍ، مثل قوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون... قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ أَنبَآئِهَا﴾[الأعراف:101].
- تأكيدُ الخبر بـ﴿لَقَدْ﴾ لبيان أنهم في شكٍّ من سبب هلاك مَن قَبلهم، وليس شكُّهم في كونهم أهلِكوا؛ ذلك أنَّ العرب تعرف آثار القوم السابقين وتعاينها، وتتناقل أخبارهم

فيما بينهم ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: 38].

- ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: سيعلمون كيف كان عِقابي وعَذابي، والنكيرُ هو الشيءُ الصعبُ الشديدُ، الذي ينكَر من شدَّة هولِه، أي كيف كان عذابي عذابا شديدا أليمًا، استعاض عن الموصوف بالصفة مبالغةً.
- والإنكار سببٌ للعقاب، لأنَّ ما أتَوا به منكرٌ وليس معروفًا. والكفَّار لم يأتوا المنكر فقط بل أمَروا به، ودافعوا عنه، وغمطوا الحقَّ وأهله، وحاربوا المعروف وحزبه.
- الله تعالى لم يقطع الخطاب عن الكفَّار تذكيرا لهم وإقامة للحجَّة، لعلَّهم يعتبرون ويرعوون؛ رغم أنهم ساروا في التكذيب على هدَى مَن قبلهم من المكذبين.

التشغيل والتفعيل

- أثبت ورش ياء ﴿نَذِيرِي﴾ و﴿نَكِيرِي﴾ حالة الوصل فقط، وحذفها غيره من القرّاء السبعة، واعتبروا في حذف الياء حتى مشابهة رؤوس الآيتين لرؤوس الآية المتقدمة والمتأخرة.
- الله تعالى قادر على معاقبة كلّ من سولت له نفسه بالتكذيب؛ غير أنَّ العذاب منهُ ما هو عاجل ومنه ما هو آجل.

- اعتمدت الآية أسلوب الالتفات من المخاطب إلى الغائبِ، فكأنَّ من كذَّب ليس أهلا أن يخاطَب مباشرة، وإنما هو في حكمِ من غاب بعقله وقد غاب بقلبِه.
- وظَّفت الآية قياس التمثيل، ولقد وظَّفت في السباق واللحاق قياس الاستنتاج؛ والذين لا ينفعهم الاستنتاج قد يؤثِّر فيهم التمثيل؛ وما من شكٍّ أنَّ المثال ليس دليل، ولكن يُستأنس به، وقد ينفع ويؤثر أكثر من الدليل.

من الفكر إلى الفعل

- الاعتبار بالأمم السابقة، ومجانبة ما ظلموا فيه، من تمام إيمان المرءِ، ومن علوّ مقامه وسموّ حكمته.
- من معاني الآية توجيه الخطاب للمؤمنين برسالة محمد ﷺ تحذيرا لهم من إمكانية ترك الهدى، واختيار سبل الضلال؛ ولا أحد يأمن أن ينقلب على عقبيه، لولا فضل من الله ورحمة.
- وإنما أمِر المسلم أن يمشي في الأرض، ويسير فيها ليعتبر بهؤلاء، ولا يكون من الغافلين.
- للقراءة: «**تاريخ الأمم والملوك**» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت. 310هـ).

قال الله تعالى:

أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَآفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿19﴾

بذور المعنى

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾: ناسب قولَه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ أن يذكّرهم بنعمة ترافق نعمة المشي، ونعمة الرزق؛ فإن كانت الأولى من تحتهم وأسفل منهم؛ فإنَّ هذه ﴿فَوْقَهُمْ﴾ لا يخفى أمرُها على من أطلق بصره، ووسَّع نظره؛ ولذا جاءت الآية بالاستفهام الإنكاريِّ، وهم قد نزلوا منزلة مَن لم يرَ ما مِن شأنه أن يُرى بلا تكلُّف.
- الخطاب موجَّه للكفار الذين لم يتَّعظوا بعظيم خلقِ الله تعالى، وهو نوعٌ من أنواع التحدِّي الذي أطلق في مبدأ

السورة: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ...﴾، ثم قال هنا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ﴾ هذه من تلك.

- ﴿صَآفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾: أي صافَّة أجنحتها، وصفُّ الجناح بسطُه ومدُّه، ذلك أنَّ ريشه يظهر مصطفًّا مرتَّبا في هذه الحال؛ ويقبِضن وهي حالة شدِّ الجناحين وجمعهما؛ ولا يكون الطيران إلاَّ بالجمع بين الصفّ والقبضِ.

- قال ابن عاشور في «التحرير والتنوير»: «وجيء في وصف الطير بـ﴿صَآفَّاتٍ﴾، بصيغة الاسم؛ لأنَّ الصفَّ أكثرُ أحوالها عند الطيران، فناسَبه الاسم الدالُّ على الثبات؛ وجيء في وصفهنَّ بالقبض بصيغة المضارع ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ لدلالة الفعلِ على التجدُّد، أي يجدِّدن القبض». والطيران في الهواء كالسباحة في الماء، الأصل فيه البسط والمدُّ، أمَّا القبض فطارئٌ.

- ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾: الصّفُّ والقبض هي أسباب خلقها الله تعالى، وسخَّر أمرها للطير، حتى تؤدّي وظيفتَها في التحليق؛ ولكنَّ الإمساك الحقيقَ في السماء، حتى لا تقع، إنما هو من الله تعالى، الموصوف بالرحمة ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾؛ ولو شاء تعالى أن لا تطير، أو أن تسقُط، لما كان إلاَّ ما يشاء.

- ومن أسباب المنع المباشرة إيقاف الريح مثلا، فلو كان الجوُّ خال من أي ريح لما طارت الطيور، شأنها شأن السفن

في البحار، والطائرات في عنان السماء؛ قال تعالى في سورة الشورى: ﴿فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ (32) إِنْ يَّشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾[الشورى:32-33].

- ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: لا يمسك الطير في السماء إلاَّ من كان عالما بصيرا بها، ولا يمسكهن غيره؛ لكونه قاصرا، ولا يقدر على رصدها، وليس له من القوَّة ما يُمسك به طائرًا واحدًا فكيف بجميع ما يطير؟
- وإن يكن الأمر في أوَّل الآية بالرؤية إلى الإنسان: ﴿أَوَلَمْ يَرَوَا﴾؛ فإنَّ الله تعالى مطلق البصر: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾؛ فناسبت الفاصلة مستهلَّ الآية.

التشغيل والتفعيل

- لقد تيسَّر لي والحمد لله، أن حضرت محاضرة في جامع الشهيد بالخرطوم (السودان)، للشيخ نذير الكروري، قبل حوالي عشر سنين؛ وهو يفسّر علميًّا العلاقة بين حركة الرياح وجريان السفن والطائرات؛ وأنَّه لو كان ثمة سكون مطلقٌ لما أمكنت الحركة، ولو كان هناك غياب للرياح لما أقلعت طائرة، ولما جرت الجواري في البحار.
- في إمساك الله تعالى الطير أن تسقُط وتهوي تنبيهٌ إلى أنه سبحانه هو الذي يمسك الأمم أن تهلك؛ ولو أنَّ الأمم آمنت

واتقت لأمسكها تعالى كما يمسك الطير صافات ويقبضن.

- في سورة النحل: ﴿أَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللهُ﴾[النحل:79]، وفي هذه الآية: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾ ما الفرق بينهما؟ ذلك أنَّ الآية الأولى لم تعين سبب المسك فناسبها مطلقُ الإلهية، وفي هذه الآية جعل السبب هو القبض والبسط، الذي هو إلهام من الله مناسب لكونه رحمنا بها، رحيما بحالها؛ وأنه برحمته سخَّر لها ما به تحلق عاليا بلا سقوط.
- المناسبة بين هذه الآية وذكرِ الطير، والآية السابقة التي تصف هلاك الأمم؛ أنَّ أصحاب الفيل، وهم معروفون عند العرب؛ قد أهلكوا بالطير الأبابيل ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾.

من الفكر إلى الفعل

- علم الطير، وعلم الطيران، ورفع الهمة إلى مجالات الفلك والكون، مما وجب الاعتناء به استجابة لأمر الله تعالى؛ والتخلُّف في هذه العلوم هو نوع من أنواع المعصية؛ قد لا تنجو الأمة باقترافها؛ ولقد كان ذلك من أسباب تبعيتها لغيرها.
- البصير هو العالم بدقائق الأشياء، يقال: فلان بصير بهذا الأمر، وكذلك الوصف بالخبير: فلان خبير بكذا؛ وسؤال الله تعالى بالاسمين مما يلهم الداعي بصيرة وحكمة ومعرفة دقيقة: يا بصير يا خبير... سبحانك.
- للقراءة: «**أسرار عالم الطيران**» فراس مال الله؛ و«**عباس بن فرناس: حكيم الأندلس**» سناء شعلان.

قال الله تعالى:

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿20﴾﴾

بذور المعنى

- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾: ناسبَ السياقُ قوله تعالى: ﴿ءَامِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾، ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾؛ وقوله تعالى عن الطير: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ ناسب ذلك أن يسأل الناسَ جميعًا، والكفّار بخاصَّة: أمَّن هذا الشريك الذي تتخذونه ناصرا لكم من دون الرحمن؟ وهل لكم أن تلوذوا به فيمنع عنكم العذاب والهلاك؟ وكيف تُعرضون عن الرحمن، برحمته بكم حتى وأنتم على الكفر، وتعبدون من دونه، وهو لا يملك لكم صرفا ولا عدلا؟

- ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: جميع الكفار، لا استثناء في ذلك بين كفَّار عهدِ النبوة، ومَن قبلهم من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومَن بعدهم إلى يوم القيامة؛ جميعُهم اغترُّوا وظنُّوا أنَّ الله تعالى غيرُ قادرٍ بهم، وأنه لا يُهلكهم إذا شاء أن يهلكهم؛ وإنما أغراهم الإمهالُ كما يغترُّ مَن صبرتَ له فيتمادى في غيِّه، وأغرتهم رحمة الله سبحانه، وهو يرعاهم ويحفظهم ويرزقهم، وهم عابدون لغيره، منكرون لألوهيته، متنكِّرون لربوبيته.
- الغُرور: ظنُّ النفس وقوعَ أمرٍ نافعٍ لها ظنًّا موصوفًا بالتخيُّل والوهمِ، والحالُ خلاف ما يظنُّ المغرور. وفي سورة الحديد حوار آخر جاء فيه: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[الحديد:14].

التشغيل والتفعيل

- الغُرور بالضمِّ مصدرٌ من مادة غرر، ومعناه الخداع والظنُّ الخاطئُ؛ أمَّا الغَرور بالفتح فهو اسم وليس مصدرا، وهو اسم للذي يَغرُّ من شيطانٍ، وإنسٍ، ومالٍ، ومنصِبٍ... إلخ.
- المغرورُ جاحد للحقّ، ظالم لنفسه، مستعجلٌ سوء العاقبة عليه وعلى قومِه.

في الدعاء المأثور: «اللهم إنا نعوذ بك من الكبر والغرور، ومن العجب وحبِّ الظهور؛ اللهم طهّر قلوبنا من النفاق؛ اللهم طهِّرها من الحسدِ والبغضاء؛ واهدنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت؛ يا ربَّ العالمين».

من الفكر إلى الفعل

- قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم**» والذهاب بالنفس هو الغرور والكبر والارتفاع عن الناس.
- قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبرٍ**»، قال رجلٌ: «**إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبُه حسنًا، ونعلُه حسنةً؟**». قال ﷺ: «**إن الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ؛ الكِبْرُ: بطَر الحق، وغمط الناس**». وفي الحديث تصحيح لمفهوم الغرور والكبر، في مقابل جمال الأدبِ وحسنِ المظهر.
- للقراءة: «**عاقبة الغرور**» قصَّة من تأليف محمد صالح ناصر.

قال الله تعالى:

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝21﴾

بذور المعنى

- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾: هو استفهامٌ وتقريعٌ وإنكارٌ آخرُ؛ في شأنٍ لا يجادل فيه اثنان، وهو ملازمٌ للإنسان أكثر من ملازمة الطير له وهي في السماء؛ فقد يعيش إنسانٌ في منطقة تقلُّ فيها الطيور أو تندُر أو تنعدِم؛ لكنَّ الرزق سببٌ لقوامِه، وأصلٌ لحياته ووجودِه؛ ولهذا كان النكير على مَن لا يرى النّعمة، ولا يتفكَّر في المنعِم وهو يطعمه ويشربه، ويلبسه ويركبه... أشدَّ وأقوى.
- والرزق جميعُ ما يُنتفع به من طعامٍ وشرابٍ، وماءٍ وترابٍ، ومالٍ وصحَّة... وغيرها من النعم المحيطة بالإنسان؛ والذي

يَرزق هو الله تعالى وحدَه، ولا أحد يشاركُه هذه المهمَّة مهما ادَّعى وطغى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ...﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران:27-26]. وفي سورة النمل: ﴿أَمَّنْ يَّبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَنْ يَّرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ﴾[النمل:64].

- ﴿بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾: لم تنفعهم العبرةُ، ولم ينظروا فيتَّعِظوا؛ وإنما استكبروا وتكبَّروا؛ فلجُّوا أي اشتدُّوا في العناد؛ وبالغوا في الهروب والنفور من الحقِّ الذي يحاصرهم من كلِّ جانب؛ وظلمُوا حين تنكَّروا للمنعِم الذي أنعم عليهم، وكفروا بالرزاق الذي رزقهم؛ والحال أنَّ العاقل يفرُّ إليه لا منه، ويؤمن به سبحانه لا بغيره.
- والآية دالَّة على تفنُّنهم في صنوفِ الكفرِ والشركِ والجحودِ، وعلى غلوِّهم في الإعراض عن الحقّ المبين، الذي جاء به منزل القرآن الكريم جَلَّجَلَالُهُ، وانتشرت آياته في الكون الفسيح، وذكَّر به سيد الخلق محمد ﷺ؛ كما ذكَّر مَن قبله من الرسل أقوامهم بالصراط المستقيم.

التشغيل والتفعيل

- في سورة المؤمنون قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَلَجُّواْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[المؤمنون:75] ذلك

أنَّ الطغيان صارَ صفة لصيقة بهم، لا تنفكُّ عنهم ولا تحول.

من الفكر إلى الفعل

- التفكُّر في الرزق بصورته الشاملة، وعند جميع التفاصيل، حتى التمرة من النخل، والنسمة من الهواء، والغفوة حين التعب... يلين قلب الإنسان، ويصرفه عن اللجاج والغرور، والكفر والجحود.
- قال رسول الله ﷺ: «**تفكَّروا في آلاء الله، ولا تفكَّروا في الله**» وهي قاعدة كلية في الإيمان، وفي منهج العلاقة بين العبد وربه، وبين العبد وجميع ما يحيط به من نعم وآلاء لا تحصى.
- للقراءة: «**سبوغ النعم**» لعلي بن محمد البسيوي. و«**معراج الأرواح والمنهج الوضاح**» لأبي بكر السقاف.

قال الله تعالى:

﴿اَفَمَنْ يَّمْشِي مُكِبًّا عَلٰى وَجْهِهٖٓ اَهْدٰٓى اَمَّنْ يَّمْشِي سَوِيًّا عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (22)

بذور المعنى

- ﴿اَفَمَنْ يَّمْشِي مُكِبًّا عَلٰى وَجْهِهٖٓ اَهْدٰٓى﴾: لما أمر الله تعالى بالمشي في الأرض: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، بيَّن أنَّ من الناس من يمشي سويًّا، ومنهم من يمشي مشيةً عوجَاء عرجَاء منحرفةً؛ وبصيغة الاستنكار جاء السؤال: هل من يمشي ووجهه إلى الأرض، ورجلاه إلى السماء أكثر صوابا وهدى؟ أم الذي يمشي مستقيما دون عوج؟
- ضرب الله مثلا للأول بالكافر الظالم نفسه، وللثاني بالمؤمن المنجِّي نفسه من سوء العاقبة.
- ﴿أَمَّنْ يَّمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: هو تشبيه لمن آمن

بالله، وهو مستقيمٌ في مشيه، وهو مع ذلك يسير في الجادة لا يخرج عنها، ولا يحيد منها؛ فاستقامته في الشكل وفي الطريق، وهي صورة مركَّبة.

- الجمع بين المشي السوي والصراط المستقيم مزيدُ بيانٍ لخيرية الإيمان، كما أنَّ الانكباب على الوجه واتباع المسلك المعوجِّ، صورة قبيحةٌ للمبالغة في الضلال والانحراف.
- ولم تصرِّح الآية بطريق الكافر، لأنَّه لا يصدق عليه اسمُ الطريق، ولا يعتبر ولا يعتدُّ به؛ أمَّا طريق المؤمن فمعتبر ومصرَّح به.
- وقد ذكر بعض المفسّرين أنَّ الآية على الحقيقة يوم القيامة؛ أي أنَّ الكافر يُبعث على صورةٍ مَهينة، يُبعث مكبًّا على وجهه، يترنَّح في طريقٍ مظلم؛ أمَّا المؤمن فيعبَّد له الطريق، ويكون سيرُه سويًّا إلى الجنَّة، مستقيما إلى رحمة الله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[الحديد:13].

التشغيل والتفعيل

- سئل رسول الله ﷺ: «كيف يمشي الكافر على وجهه؟ قال: **«إنَّ الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادر أن يمشيه في**

الآخرة على وجهه».

- كلُّ انحرافٍ في الفكر أو الفعل هو بمثابة المشيِ على الوجه؛ وكلُّ إعراضٍ عن الحقّ وأهله هو انحراف عن سواءِ السبيل، وخروجٌ عن الصراط المستقيم؛ وكلُّ معصيةٍ مهما بدت صغيرة هي اعوجاجٌ قد تودي بصاحبها في المهاوي، وتُرديه المهالك؛ إذا لم يتُب إلى الله، ويرجع إلى الجادَّة. وباب الرجوع عن نقطة الانحراف مفتوح ما لم يغرغر صاحبها.

من الفكر إلى الفعل

- الكفَّار يوم القيامة يمشون على وجوههم، والمؤمنون يمشون على استقامة؛ ولقد كانوا كذلك في الدنيا، ولكن أكثر الناس لا يعقلون.
- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِيَ أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.
- طريق الآخرة يعبَّد بالإيمان والعمل الصالح في الدنيا، ونور الآخرة يُلتمس من الإخلاص والصدق الذي يصبغ المؤمن في حياته، وفي جميع تفاصيل يومه.
- للقراءة: «**الكلمات**» لبديع الزمان النورسي؛ و«**صبغة الله**» محمد باباعمي.

قال الله تعالى:

قُلْ هُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿23﴾

بذور المعنى

- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: الخطاب موجَّه للرسول ﷺ وهو انتقالٌ من خطابِ المشركين إلى خطابِ من أقام عليهم الحجَّة، لينذرهم ويذكِّرهم.
- والإنشاءُ هو الإيجاد والخلقُ؛ وفي أنشأ معنى: الشروعُ والابتداءُ والإحداثُ؛ ومَنشأ الشيء أصله وعلَّته؛ ومنشئ الخلق والوجود هو الله تعالى. وأنشأ الله تعالى الخلق أي خلقهم في صورة مركَّبة على مراحلَ.

- ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾: بدأ بالسمع لأنه أكثر خطرا على الإنسان، وألصقُ بمقتضى الدعوة؛ فمن لا سمع له لم يكن أهلاً لأن يكلَّف ويُسأل؛ بخلاف من ليس له بصرٌ، فإنه مكلَّف مثل غيره؛ إذ لم يفقد متعلق التكليف والحياة مثل الأصمِّ.
- ثم أفرد السمع لأنَّ الذي تلتقطه الأذن مجمول غالبا في صوتٍ واحد، أمَّا العين فتتوزع على صور كثيرة في آن واحد. وثلَّث بالأفئدة؛ والفؤاد هو القلب، ذلك أنَّه محلُّ الهداية «**إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله**» كما جاء في حديث رسول الله ﷺ.
- ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: ومعناه أنَّ الله تعالى مع أنكم لا تشكرون هذه النعم، إلاَّ أنه أنعم بها عليكم؛ وهو تقريع وتوبيخ؛ إذ ليس كفران النعمة من شيم الكرام.
- وذكر البعض أنَّ قليلا بمعنى النفي والعدم، أي أنكم لا تشكرون بتاتا؛ ولعلَّ الصواب حملها على حقيقتها، أي أنَّ شكرهم نادرٌ، ولا يأتي إلاَّ في مناسبات من مثل معاينة الخطر، وصفاء الذهن، والخلو بالنفس بعيدا عن شياطين الإنس المحيطين بهم... إلى غيرها من الحالات القليلة التي يشكر فيها غير المؤمن، شكرا قليلا.

التشغيل والتفعيل

- أطال المفسّرون البحثَ في الفروق بين: الخلق، والجعل، والإنشاء، والبرء... وهي فروق دقيقة؛ منها أنَّ الجعل يأتي بعدَ الخلقِ، ومعناه توجيهُ الشيء المخلوق إلى ما خُلق له؛ أمَّا الخلق فهو الإيجاد من العدم مطلقًا؛ والإنشاء لما هو مركَّب غالبًا. وقد تترادف هذه الألفاظ في مستويات معيَّنة إذ «لا ترادُف على الإطلاق، ولا نفي للترادف على الإطلاق» فثمة ترادف باعتبار، وعدم ترادف باعتبارٍ.
- الخطاب في الآية إمَّا للبشرية جمعاء، أو للفردِ الواحد؛ فجميع أولئك أنشأه الله تعالى، هو سبحانه ولا أحدَ من الخلق شاركه في هذه المهمَّة، ولا أحد يملك أن يدَّعي أنه سيشاركه فيها سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[الحج:73].
- يقول علي عزت بيجوفيتش: «عندما أفكِّر بأنَّ كلَّ علومِنا، وكلَّ تقنياتنا، لو اجتمعَت في مكانٍ واحدٍ، وتمكَّنت من العمل معاً، بانسجامٍ، لن تستطيع لمئة عامٍ إنتاجَ بذرة واحدةٍ مثل هذه (بذرة زهرة الهندباء)، ولن يتمكَّنوا من ذلك إطلاقاً؛ ويجب عليَّ أن أسأل: كيف يستطيع الناسُ تجاهل هذا العقل الظاهر الذي يقِف وراء الطبيعة؟ وما هو نوعُ العماء؟ منذُ متى؟ وكيف يمكن توضيح الحيادِ

الإنسانيّ أمامَ هذه العلاقة الظاهرة (الآيات) الإلهية؟ وهذه العلامةُ الظاهرة هي واحدةٌ بين الكثير من الأشدِّ غرابةً والأكثر استعصاءً على التفسير؛ والتي تستحقُّ الإعجاب والتساؤل».

من الفكر إلى الفعل

- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾.
- شكر نعم الله تعالى هو أن تصرف تلك النعم إلى الوجه الذي يرضيه.
- من أعظم العبادات التفكُّر في خلق الله تعالى، وفي بديع صنعه: «وفي كل شيء له آية، تدلُّ على أنَّه الواحد». ولقد تبلَّد العقلُ في هذا العصر، وتمرَّن على القفز على الحقائق، والتنكُّر للمنطلقات؛ تحت مسوغات كثيرة، لا حصر لها. لعلَّ أبرزها «العلموية» أي ما كان باسم العلم.
- «اللهم ارزقني الرضا، واجعلني من الشاكرين»

كتبت أمُّنا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لمعاوية بن أبي سفيان، ومما قالت له: «إنَّ أقلَّ ما يجب على من أنعِم عليه ألا يجعل ما أنعم عليه سبيلا إلى معصيته».
- للقراءة: «**هروبي إلى الحرية**» علي عزت بيجوفيتش. و«**العلم والعالم**» محمد باباعمي.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿24﴾﴾

بذور المعنى

- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾: استئنافٌ للتذكير بتكرار الأمر ﴿قُلْ﴾ وضميرُ الشأن ﴿هُوَ﴾ والذي هو الرحمن سبحانه؛ ذرأكم أي أكثرَ منكم ووزَّعكم في الأرض، ودلالة ذرأ تجمع بين الخلق والكثرة، أي خلقكم بكثرةٍ.
- ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: أنتم منتشرون في الأرض، ويوم تقوم الساعة ستُحشرون جميعا إليه سبحانه، ولقد عبَّر عن الموت الذي هو زوالكم بالحشرِ، ذلك أنَّ الموت يتبعه الحشرُ؛ وأنَّ الحشرَ يتبعه البعث؛ وأنَّ البعث يستلزم الحساب، ثم الجزاء للمؤمن والعقاب للكافر.

- ولقد ظنَّ الذين كفروا ﴿أَن لَّن يَّبْعَثَ اللهُ أَحَدًا﴾ ولكن الله تعالى بواسطة رسوله الصادق الأمين ﷺ أعلَمَهم أنَّه سيحشُرهم ﴿إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾؛ فإن هم صدَّقوا نجوا، وإن كذَّبوا هلكوا.
- والحشر لا يكون إلاَّ إلى الله الواحد القهار، هذا ما يُفيده تقديم المعمول على عامله ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ ولا أحد من البشر يُستثنى من الحشرِ إلى ربه؛ ولا من سببه أي الموت؛ ولا من ثمرته أي الحساب.

التشغيل والتفعيل

- الإنسان متعلّق بالأرض وجودًا وعدمًا؛ فهو لا يستغني عنها، أمَّا هي فتستغني عنه؛ وأيُّ خلل ولو يسير يطرأ على الأرض، من اهتزاز أو فسادٍ أو غير ذلك إلاَّ ويتعرَّض الإنسان إلى خطر الموت والفناء؛ ولذا وجب عليه أن يرتبط بربها وربه، وربّ كل شيء؛ الذي منَّ عليه بأن سخَّر له الأرض وذللها له.
- قال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَالسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:67].
- يقول مراد هوفمان: «إنَّ عاقبة عدم الإيمان لا تعني أن لا

يؤمن الإنسان بشيءٍ، إذ ليس بمقدوره فعل ذلك حتى ولو أراد؛ بل يقينًا سيصبح الإنسان عرضةً للإيمان بأيِّ شيءٍ، وهو ما يفتح المجال أمام آلهة باطلة دنيئةٍ وشرّيرة كالمال واللَّذَّة والجنس والقوَّة لتحتل مكان الإله الغيبيّ الحقّ. كما سمح بظهور فلسفات «وحدة الوجود»، و«الحلولية» التي فتحت الباب أمام أن يكون الله شخصًا أو لا يكون كذلك. هكذا تم الانصراف عن الإيمان بالإله الاستشرافي (الغيبي)، واتجه التقديس نحو الإله الذي حلَّ في الطبيعة أو الإنسان بصور متعدّدة».

من الفكر إلى الفعل

- من أعظم المعاصي إفساد الأرض، والإفساد في الأرض؛ وأعظم منها جحود خالقها، والتنكُّر لمن سخَّرها له وذرأه فيها.
- ربَّنا اغفر لنا تقصيرنا في حقك، وإسرافنا في أمرنا، ولا تهلكنا وأنت علينا قادر؛ واجعلنا من عبادك الصالحين المصلحين.
- لا يكون العلم إلاَّ موحّدا أو ملحدا؛ ولا يوجد ثمة طريق ثالث بين الإيمان والإلحاد؛ إذ لا اعتبار في ذلك للمسمَّيات؛ ولكن الاعتبار يكون بالمضامين.
- للقراءة: «**الطريق إلى مكة**»، و«**الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود**»، و«**خواء الذات**» مراد هوفمان.

قال الله تعالى:

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿25﴾ قُلِ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿26﴾

بذور المعنى

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: لقد أخبرنا تعالى أنَّ الكفَّار يجادلون بغير علم، ويحاجُّون بلا دليلٍ: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[غافر:5]؛ والرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبرهم أنهم إليهِ يحشرون، ولم يعلِمهم متى يكون ذلك؛ فلما لم يملكوا الحجَّة لردِّ حججه، غالطوا بسؤالهم: متى هذا الوعد؟ والصيغة فيها ريح استهزاءٍ: ﴿مَتَىٰ هَذَا﴾، بحيث لم يقولوا متى يكون الحشر؟. إن كنتم صادقين أيها

النبيء، ويا أيها الذين آمنوا به. وسؤالهم عمَّا لا يعلمه أحدٌ إلاَّ الله تعالى، ولذا جاء الجواب:

- ﴿قُلِ اِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللّٰهِ﴾: بتكرار ﴿قُلِ﴾؛ فإنَّ القول ليس قول الرسول، وإنما هو مبلِّغ عن ربِّـه؛ وربُّه يقول له: قل لهم يا نبيء الله: إنَّما العلم بقيام الساعة، والعلم بحقيقة الحشرِ، و«بمتى يكون البعث» أَي بزمانه... كلُّ ذلك لا يعلمه إلاَّ الله سبحانه.

- ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: ليس من صلاحيتي أن أفصل لكم القول في الغيبِ، وأن أذكُر لكم ما لا أعلم منه، والغيبُ هو من خصوصيات علمِ الله تعالى، ومما لم يُطلِع عليه أحدا من خلقه، فهو سبحانه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[الجن:26]، ﴿وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[آل عمران:179].

- وشأنُ المؤمن مع الغيب لا أن يعلَمه ولكن أن يؤمن به، إذ لا دليل له يقوم عليه إلاَّ ما جاءه من الله تعالى سماعا ووحيًا: ﴿اَلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة:3]. والرسول نفسه يقول: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[هود:31] وإنَّما مهمَّتي معكم، ورسالتي إليكم، أيُّها المكذبون أن أنذِركم.

- ولـم يذكر ما يقابلها من التبشير؛ لأنَّ السياق سياقُ عنادٍ وحـجاجٍ ممن لم يؤمن، فناسبه الإنذار.

- والإنـذار لغة هو الإشعار والإخطار بوقوع أمرٍ مَا لأخذِ

الحيطة والحذر. والمنذِر رحيم بمن ينذِر، إذ لم يتركه لمواجهة الخطر في أوانه، بل أخبره وحذَّره قبل وقوعه، حتى يتفاداه إذا كان ممن ينتفع بالذكرى.

- والمبين هو البيّن الواضحُ الذي لا لبس فيه ولا غموض، أي هو مُبين لما أمرتُ بتَبليغه، مبين للحقّ كلّه، مُبين لما أنتم فيه من لجاج، ومُبين لما ينتظركم من عذاب أليم؛ إذا لم تتوبوا إلى الله سبحانه، وتعودوا إلى الحقّ المبينِ.

التشغيل والتفعيل

- اعتمد الكفَّار مغالطة الانتقال من صلب الموضوع وهو «حقيقة الموت والحشر والبعث» إلى جزئية تمسَّكوا بها وهي «وقت الحشر» أي ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾؛ وبذلك حاولوا تحوير القضية من أصلها إلى فرعها؛ وهذه المغالطة من أساليب التمويه، وهي تسمى مغالطة الخروج عن الموضوع.
- كثيرة هي المغالطات التي يرتكبها الكفَّار والمشركون ليهربوا من الحقّ، وليحاججوا أنبياء الله بلا حقٍّ، وليقنِعوا ضمائرهم أنهم هم كذلك «يتَّبعون الحقَّ، ولا يتَّبعون الباطل»؛ واكتشاف المغالطةِ ليس دائما من السهولة التي نتصوَّر، فلقد تنطلي كثيرٌ من المغالطات على الناس؛ ولذا علَّمنا كتابُ الله تعالى منهجَ التعرف على المغالطات، والرد عليها؛ وهذا فنٌّ بديع، وعلمٌ نافعٌ؛ للأسف تعدِمه

مؤسَّساتنا التربوية، وجامعاتنا؛ رغم أهميته اليومَ في معركة الوعي.

من الفكر إلى الفعل

- تعلُّم أساليب الجدل، ومناهج الاستدلال، واكتشاف المغالطات، من أوكد العلوم التي تُطلب في عصرنا، وهي أساسية لطالب العلم.
- يصبر أنبياء الله تعالى مع قومهم، ويجادلونهم بالفكر، ولا يضجرون من المحاورة؛ وهذا سلوك وجبَ أن يتحلَّى به المؤمن في عصرنا، وهو يدعو إلى دين الله تعالى بالحجة والبرهان والدليل.
- للقراءة: «**الدليل والبرهان**» أبو يعقوب يوسف الوارجلاني؛ و«**معروف الرصافي: من المغالطة إلى الإلحاد**» أحمد موساوي وآخرون...

قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿27﴾﴾

بذور المعنى

- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: الزمن في كلام الله تعالى ليس له نفس منطق الزمن في كلامِ البشر، فالماضي والحاضر والمستقبل جميعُه واقعٌ تحت علم الله تعالى وقهره؛ فناسب الماضي لما هو آت، لأنَّه في حكم الواقع والحاصل؛ ففعل ﴿رَأَوْهُ﴾ جيء به بصيغة الماضي، وهو مستعملٌ للمستقبل؛ وذلك لتحقُّق الوقوع، ومثال ذلك: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّهِ﴾[النحل:1]؛ فهو صادرٌ عمَّن لا حدَّ لقدرته، ولا رادَّ لحكمه.

- والزلفة لها معان منها القربُ والدنوُّ، وزلف إذا اقترب ودنا؛ أي حين رأوه قريبًا منهم لا يفصلهم عنه فاصلٌ من وقت؛

والزلفى هو القربى.

- أي لما رأوه رأي العين محقَّقا آمنوا به، ولكن يومَها لا ينفعهم إيمانهم، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَاتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَو يَاتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَاتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَاتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا اِيمانُهَا لَمْ تَكُنَ ـ امَنَتْ مِن قَبْلُ﴾[الأنعام:158].

- ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لمَّا عاينوا العذابَ اسودَّت وجوه الكفار وكلَحت، وساءت حالها، فزعًا وهلعًا؛ والوجُه يعبِّر عن الانفعال حين مواجهة المخاطر أو غيرها، قال ابن عباس: «اسودَّت وعلَتْها الكآبة والقتَرة».

- وأسند السوء إلى الأوجه، وهو كناية عن أنَّ جميعَ نفسِ الكافر تسوء، ومثاله قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[الغاشية:2-4]، فأسند كلُّ ذلك للوجه وقصد به الكلّ.

- ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾: القائل إمَّا الزبانية، وإمَّا يقول بعضُ الكفَّار لبعضٍ، أو هو قول المؤمنين لهم، أو هو قول الله تعالى سبحانه؛ أو هو قول بالحال لا بالمقال. والعبرة بحقيقة ما قيل، لا بمن قال؛ إذ هم في حالِ ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

- الذين كفروا كذَّبوا رسلهم في الدنيا، واتهموهم بالادّعاء،

ويوم القيامة يقال لهم: هذا ادّعاؤكم الذي أنكرتم به وحي الله تعالى، ورددتم به إنذار نبيّكم، هو ادّعاء باطل، ودليله ما تعاينون وما تواجهون من عذاب شديدٍ، ومصيرٍ أليم؛ واليوم لا ينفعكم تكذيبكم وكفركم.

التشغيل والتفعيل

- الآية جواب لهم لمن كانوا يشكّكون به في الدنيا، وكم من مشكك في البعث تحت مسمَّيات كثيرة، فلسفية وفكرية، وعلمية وعلموية، لا سند لها إلاَّ اللجاج والغرورُ، والظلم والعلوُّ؛ ومن عجب أنَّ ثلة (أو شلَّة) ممن ينتسبون إلى الإسلام، باسم الانفتاح العقليّ يشكّكون في الغيب، وفي البعث، ويتخذون ذلك محلَّ جدلٍ ومراءٍ؛ وينساق على إثرهم شبابٌ كثر؛ وطلبة علمٍ ليس لهم من العلم إلا اسمه.
- في مقدّمة كتاب «نفسيَّة الإلحاد» نقرأ هذه العبارة العميقة، في نقد التوجُّه الإلحاديّ لهذا العصر: «تعدُّ الإشارة الجدّيَّة إلى الله في الكتابة العلميَّة ضمن العالَم الأكاديميِّ محظورةً كليَّة؛ فضلاً عن استخدام مفاهيم مثل «العناية الإلهية» (أو الإيمان بالغيب)؛ أمَّا المفاهيم العلمانيَّة المجرَّدة مثل «التقدُّم»، و«صراع الطبقات»، و«المجتمع الأبويّ»، و«تحقيق الذات»... وغيرها من المفاهيم الأثيريَّة، غير الماديَّة، الأخرى؛ المشابهة مثل «البقاء للأصلح»،

و«التطوُّر» فهي مفاهيم متعارف عليها ومقبولةٌ؛ فالوضعُ ضمن الوسطِ الأكاديميِّ يكفي فيه الإشارة إلى الله بأيِّ طريقةٍ لتضع منحةَ الشخص التعليميَّة محلَّ التساؤل!».

من الفكر إلى الفعل

- «اللهمَّ حبّب إلينا الايمان وزينه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين» هو دعاء عظيم منحوت من آية سورة الحجرات، نسأل الله برَّه وذخره.
- الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالغيب؛ ينشّطان المؤمن على الطاعات، وفعل الخيرات؛ ويُلجمانه عن المعاصي، واجتراح المنكرات.
- كثيرٌ من الفساد المستشري في المجتمع المسلم في عصرنا، سببُه فتور الإيمان بالله سبحانه، وخفوت الإيمان بالغيب حقًّا.
- للقراءة: «**نفسية الإلحاد**» بول سي فيتز.

قال الله تعالى:

قُلۡ اَرَءَيۡتُمۡ اِنۡ اَهۡلَكَنِىَ اللّٰهُ وَمَنۡ مَّعِىَ اَوۡ رَحِمَنَا فَمَنۡ يُّجِيۡرُ الۡكٰفِرِيۡنَ مِنۡ عَذَابٍ اَلِيۡمٍ ﴿28﴾

بذور المعنى

- ﴿قُلۡ اَرَءَيۡتُمۡ اِنۡ اَهۡلَكَنِىَ اللّٰهُ وَمَنۡ مَّعِىَ اَوۡ رَحِمَنَا﴾: مصيرُنا ومصيركم غير متعلّق بعضُه ببعض، سواءً أهلكني الله وأهلك مَن آمن بما جئتُ به، وهو ما تمنَّيتموه وبشَّرتم به؛ وسواءً رحمَنا الله وقد وعدَنا بذلك وهو صادقُ الوعدِ؛ فإنَّ المسألة لا تؤخذ في حقِّكم أيُّها الكافرون من هذه الزاوية، وإنما السؤال الصواب هو عنكم أنتم، وعن مصيركم أنتم:
- ﴿فَمَنۡ يُّجِيۡرُ الۡكٰفِرِيۡنَ مِنۡ عَذَابٍ اَلِيۡمٍ﴾: التفاتٌ عن خطابهم إلى ذكرهم بصيغة الغائب؛ لأنهم بمنطِقهم الفاسد، وبمصيرهم البئيس، صاروا مثل الغائب لا يعتدُّ بقولِه، فلم

يقل تعالى على لسان نبيه لهم: «فمن يجيركم» وإنما: ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾.

- والإجارة من العذاب المنعُ منه؛ أي أنَّ العذاب الأليم حاقٌّ بكم لا محالة، ولا ينفعكم يومها هلاكنا، ولا تضركم نجاتنا.

- على ضوء هذا المعنى تفهم آية سورة المائدة: ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:105].

التشغيل والتفعيل

- ذكر كتاب الله تعالى بعضا مما تمناه الكفار لرسول الله ﷺ من الهلاك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[الطور:30]، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[الأنفال:30]؛ وعن المؤمنين: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾[التوبة:98].

- مما يفسّر أنَّ هلاك المؤمنين وموتهم، أو رحمة الله بهم ونجاتهم، ليست هي منطقُ الحكم في حقّكم أيها الكفار الجاحدون، قوله تعالى في سورة الزخرف، وهو بيان للآية التي نحن بصددها: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ

(14) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: 41-42].

- الرؤية في الآية ﴿أَرَأَيْتُم﴾ علميَّة وليست بصريةً، وتقدير الكلام: أعلمتم ورأيتم أنفسكم ناجين من عذاب الله تعالى الأليم إذا نزل بي وبمن معي هلاكٌ؟ فهلاكنا غير مانع لعذابكم وهلاكِكم أيها الغافلون.
- يقول الإمام الرازي: «في الدنيا دوام الأعمال بدوام الأعيان؛ فإن العرض لا يبقى إلا في جوهر ولا يوجد إلا فيه. وفي الآخرة دوام الأعيان بدوام الأعمال؛ فإنَّ الله يبقي أعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات، وما عند الله باقٍ، والباقي يبقى مع عامله».

من الفكر إلى الفعل

- هلاك كل امرئ أو نجاته رهينٌ بإيمانه الخالص، وبعمله الصالح؛ ولا اعتبار للنسب، أو الجاه، أو الجنس، أو الغنى... قال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنَ اَهْلِي﴾ فقال تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ اَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.
- لا يؤخذ أحد بجريرة أحد، ولا تزر وازرة وزر أخرى.
- ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ قاعدة كلية من قواعد العقيدة.
- للقراءة: «**مفاتيح الغيب**» فخر الدين الرازي.

قال الله تعالى:

قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿29﴾

بذور المعنى

- ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِ﴾: الله تعالى هو الذي سيرحمنا، وهو الموصوف بالرحمة؛ وهو الذي سيرفع مقته عنَّا، وهو الذي سيهلككم بعذاب أليمٍ. ونحن آمنَّا بمقتضى رحمته، وباسمه الرحمن، وبآثار رحمته علينا، ولسنا مثلكم أيها الكافرون المكذِّبون بذلك.
- ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾: اختصَّ توكُّلنا على ربّنا الرحمن، واقتصر طلبُ عوننا عليه وحده؛ ولا نتوكَّل على أحد سواه: ﴿رَبَّنَا

عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾. وفي جميع آيات الكتاب قدِّم معمول توكَّلنا ﴿عَلَى﴾ على فعل التوكُّل، فإنَّ المعنى هو اختصاص التوكُّل عليه وحده جَلَّجَلَالُهُ، دون غيره، ممن تتوكَّلون أنتم عليهم؛ ولا بدَّ للضعيف من متوكَّل، ونحن ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا﴾.

- ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: علم اليقين والتحقيق سيكون يوم القيامة، يومَ تلقون ربَّكم ليُحاسبكم؛ ستعلمون حينها لا محالةَ مَن هو في الضَّلال مستغرَق، وهو ضلال مبينٌ واضحٌ بليغٌ يعرفه كلُّ مَن أنصف، ولم يكن خفيًّا ولا مستترًا؛ إنَّه ضلالٌ وظلمٌ في الدنيا وسوء عاقبة وندامةٌ يومَ القيامة.

التشغيل والتفعيل

- المبين صفة جاءت في كتاب الله تعالى للقرآن، والشهاب، والإمام، والنذير، والخصيم، والبلاغ، واللسان، والعدوّ، والضلال، والخسران، والسلطان، والإفك، والحقّ، والآيات، والكتابِ، والشيء، والثعبان، والسحر، والفضل، والمضِل، والغويّ؛ والشيطانُ عدو مضلٌّ مبين، والاثم، والبلاء؛ وهو ظالم لنفسه مبين، وكفور مبين، ورسول، ودخان، والفوز المبين، وفتحا مبينا، وفاحشة مبينة، والأفق المبين.
- ثمة مناسبة بين قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا﴾ وهذه الآية؛ ذلك أنَّ الصفة التي وُصِف بها الله

تعالى هو ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ وكان الفعل هو ﴿رَحِمَنَا﴾؛ إذ يستحيلُ أن يعذّب ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ من يطيعه، وينجّي من يَعصيه؛ ثم إنَّ اختيار ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ عوض ﴿الرَّحِيمِ﴾ ذلك أنَّه سبحانه ﴿رَحْمَٰنُ﴾ برحمة تعمُّ خلقه جميعا، وتشمل المؤمن والكافر؛ فالله تعالى يرحم جميع خلقه إلَّا من أبى، ويجير جميع خلقه إلَّا من أبَق.

من الفكر إلى الفعل

- ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- من توكلَّ على الله حقَّ التوكُّل، كفاه الله عناءَ الدنيا، وأثابه يومَ القيامة بالرضا وحسن المآل؛ ففي حديث رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنَّكم توكَّلون على الله حقَّ توكُّله، لرزقكم كما يرزق الطيرَ، تغدو خِماصا، وتروح بطانا**».
- التوكُّل والتواكل نقيضان: الأوَّل يكون مع الاستجابة لأمر الله تعالى، واتخاذ الأسباب التي أمر بها سبحانه؛ والثاني يكون مع فتورٍ في الإيمان، وإعراضٍ عن الأسباب؛ الأوَّل من علامات الإيمان، والثاني من أمارات النفاق.
- للقراءة: «**كتاب التوكل على الله**» ابن أبي الدنيا (ت. 281هـ).

قال الله تعالى:

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ٣٠﴾

بذور المعنى

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾: صورةٌ ذهنيَّة، جاءت خطابا للرسول ﷺ في معرض حجاجه للكفَّار؛ انتقل فيها من أمرٍ دينيٍّ وأخرويٍّ، وهو مصيرُ الكفُّار ومآلهم؛ إلى ما يقرِّب فهمَهم لو نصحُوا وأنصفُوا؛ وذلك في أمرٍ ماديٍّ محسوسٍ، يعيشونه يوميًّا؛ ولو غاب الماء عنهم أو زال لهلكوا؛ وهم ليس لهم عليه قوَّة ولا سلطان.
- فيا أيها الكفار هل علمتم، ولا ريب أنكم تعلمون ذلك، لو أنَّ ماءكم غارَ وذهب في الأرض، وزال عن سطحها وعن أنهرها وآبارها...

- ﴿فَمَنْ يَّاتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾: من ذا الذي يعيد الماء لكم؟ ومن يملك أن ينجيَكم بعد أن تحقَّق هلاككم؟ فلئن كان الأمرُ هكذا مع الماء، فهو من باب أولى مع مصيركم الأخرويّ، ومع جميع أمركم: إنما النجاة عند الله الرحمن الرحيم، وإنما الهلاك مِن الله القوي العزيز.

- والماء المعين هو الماء الظاهر الذي تراه العين يجري على وجهِ الأرض. وفي سورة الواقعة: ﴿أَفَرَآيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) ءَآنتُمُۥ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (69) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾[الواقعة:68-69].

التشغيل والتفعيل

- أصيب الكفار بقحط شديد بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، أي بعد نزول هذه الآيات في مكَّة؛ والسورةُ مكية؛ وقد ذكر ذلك في سورة الدخان وفسِّر به. وهو وعيد لهم قبل الوعيدِ الأكبر، ورحمة بهم لو أنهم تابوا واستغفروا وتركوا عنادهم.

- قال صاحب «الكشَّاف» الإمام الزمخشري: عن بعض الشطَّار أنَّ الآية تُليت عنده، فقال: «تجيء به الفؤوس والمعاول»، فذهب ماءُ عينيه. ثم قال الزمخشري: «نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته»؛ وكم من جريء لو

شاء الله تعالى لأهلكه، لكنَّه يمهله لعلَّه يتوبُ ويستغفرُ؟!

من الفكر إلى الفعل

- كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: «**يأتي به ربُّ العالمين**». وإذا قالها أحد فليقلها بصوت دون صوت القرآن.
- في الصحيح أنَّ «النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الم (1) تَنزِيلُ﴾، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»[رواه الترمذي].
- قال رسول الله ﷺ: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**»
- وسورة تبارك مما يجمُل بالمدارس أن تحفّظه لكل تلميذ، في مقتبل عمره؛ حتى يتخذها وردا يوميًّا يتلوه، وحصنا من الشرك والكفر يعمل بمحتواه.
- للقراءة: «**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**» محمد الغزالي؛ و«**في رحاب القرآن**» إبراهيم بيوض.

تفسير

سُورَةِ القَلَمِ

ٱلْمُيسَّر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم
الرسول محمد ﷺ
"النبيء المعيار" و"الرسول المرجع"

أقسَم الله تعالى في مستهل السورة بـ﴿ن﴾، وبـ﴿الْقَلَمِ﴾، وبـ﴿مَا يَسْطُرُونَ﴾، أي بـ: الحرف، والوسيلة، ومحتوى العلمِ؛ وهذه الألفاظُ الموجزةُ تحمل من المعاني ما لاَ حصر له؛ ولكنها تصبُّ في غايةٍ واحدةٍ؛ ثم تتكاثفُ لتخدم مقصدا وحيدا، ألاَ وهو المقسَم به: «رسولُ الله ﷺ، وما جاءَ به من الحقِّ من عند الله تعالى»:

خاطبُه ربه الكريمُ الذي أرسله بنعمتِه، وفضَّله على الخلق أجمعين بمنّه، فأسبغَ عليه جملة من الأوصاف التي ترفعُ مِن شأنه، وتحطُّ من قدر شانئه، فقال له:

- يا محمد، أنت منعمٌ من الله تعالى.
- ما أنت بمجنون.
- إنَّ أجرك عند الله غير ممنونٍ.
- إنَّك لعلى خُلق عظيم.

- أنت المبصِر والبصير بالحقّ.
- لست مفتونا، بل عدوُّك هو المفتون.
- أنت من المهتدين، بل سيُّد المهتدين.

إلى غيرها من الصفات الحميدة، والخلال الجليلة، التي تحسَب لمحمد ﷺ، في مقابل الصفات القبيحة والخصال الخسيسة، التي هي علامة «المكذّبين المبغضين»، وبغضّ النظر عن «خصوصِ السبب»، وعن المعنيِّ بهذه الصفاتِ الذميمة؛ فإنَّ منها أنه: حَلاَّف، مَهين، همَّاز، مَشَّاء بنميم، منَّاع للخير، مُعتد، أثيم، عُتلّ، زنيم، مغرور بماله وبَنيه، مكذِّب بآيات الله إذ تتلى...

ولعلَّ ثنائية الحقِّ والباطلِ، الخيرِ والشرِّ، العملِ الصالح والعملِ الطالح، تتجلَّى في صورة مجازيةٍ تاريخية ذات عبرةٍ ومغزى؛ وذلك في قصَّة «أصحاب الجنَّة» المالكين للضياع، في مقابل المساكين الذين كان لهم حقٌّ معلومٌ في هذا الخيرِ مما اعتاد عليه السَّلَف؛ ثم نجم في قلوب الخلْفِ داعي الظلمِ والبُخل، والحيلة الماكرة والتخطيط في جوف الليل... فقرَّروا حرمان أولئك المساكين من الصدقة والمعروفِ؛ غير أنَّ القدرَ الحكيم لم يُمهلهم، فبعث على الغلَّة والنخل مَنْ صَرمها قبل أن يَصرموها، ومن حرمهم منها قبل أن يَحرموا غيرهم...

فكان لهم ذلك نعم الذكرى، ونعم العبرة: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ

أَلَمَ اَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لم يجحدوا ولم يكابروا، وإنما تابوا وعادوا وندموا، فقالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ...﴾، ثم تلاوموا، واعتبروا بمصيرهم لو أنهم بَقوا على ضلالهم؛ غير أنَّ مِن عظمة المؤمن أنه إذا أخطأ صحَّح، وإذا أذنب تابَ، وإذا شطط رجع، وإذا لم يحسن التقدير تفكَّر وعاد إلى جادَّة الصواب...

هكذا كان حالهم، وهكذا حال كلِّ من على شاكلتهم إلى يوم يُبعثون...

ويبقى الفرق والفارق الأساس بين الناس في الإيمان والكفر، ولقد ضلَّ السبيلَ من سوَّى بينهما، ولذا جاء التهديد والتنديد من الله العلي العزيز صارما صريحا: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (53) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

ولا يختلف اثنان أنَّ التسوية بين المسلم والكافر، بل وتفضيلَ الكافر على المؤمنِ لاعتبارات جائرةٍ، وبمعايير خائرةٍ، باتَ سمةَ هذا العصر؛ حتى ذلَّ صاحبُ الحقّ وتجبَّر صاحب الباطل؛ وعزَّ الظالم وهان المظلوم؛ ولكأننا في عهد سيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والناسُ يسخرون منه ويسخرون ممن معَه؛ أو في العهد المكّي الأوَّل والمسلمون مستضعَفون مُهانون، لا يملكون صَرفا ولا عدلا، قولا ولا فعلا؛ إلاَّ انتظار المدد من السماء، والعون من رب الأرض والسماء...

وفي مثل هذه الحال، لا بدَّ من الصبرِ، ذلك أنَّه بالصبر تُختصر المسافات، وتُنال الغايات، وتُبلغ المقاصد كاملةً، ويأتي النصر مؤزَّرا... ولذا قال تعالى لـ«نبيه المعيارِ» لكل الناس، و«لرسوله المرجِع» في كلِّ شيء، سيدنا محمد ﷺ، قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾...

ونعمة الله التي تداركت يونس بن متى، صاحبَ الحوت عَلَيْهِ السَّلَامُ، هي أنه اهتدى إلى التسبيح لله تعالى؛ فنادى من بطن الحوت: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ فاستجاب له ربه، وسمع نداه، وأخرجه من بطن الحوت سالما غانما، وقال: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾...

والحال أنَّ الله تعالى جعل لكلِّ ضيقٍ مخرجًا، ومن كلِّ همٍّ فرجًا، ولكلِّ مصيبة أجلاً؛ وعلَّمنا كيف نلوذُ إليه سبحانه، ونقصد بابه وحدَه جلَّ في ثنائه؛ ثم نكونَ مثل أنبياء الله المكرَمين، في الدعاء والإنابة، حتى يتحقَّق لنا ما تحقَّق لهم من نصر مبينٍ، ويحلُّ بنا ما حلَّ بهم من فوزٍ متينٍ؛ وعسى أن نكون يوم القيامة معهم في عليين معزَّزين مبجَّلين.

وإني لأحبُّ أن أستشهد في هذا المقام الجليل بما ورد عن

الإمام الصادق جعفر بن محمد، وذلك أنه قال: عجبتُ لمن فزع من أربعٍ كيف لا يفزع إلى أربعٍ:

- عجبتُ لمن خاف، كيف لا يفزع إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾؛ فإني سمعت الله جَلَّجَلَالُهُ يقول بعقبها: ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾.
- وعجبتُ لمن اغتمّ، كيف لا يفزع إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ فإني سمعت الله عَزَّوَجَلَّ يقول بعقبها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُومِنِينَ﴾.
- وعجبتُ لمن مكِر به، كيف لا يفزع إلى قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾؛ فإني سمعت الله جل وتقدس يقول بعقبها: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾.
- وعجبتُ لمن أراد الدنيا وزينتها، كيف لا يفزع إلى قوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿مَا شَآءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾ فإني سمعت الله عز اسمه يقول بعقبها: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾.

ثم إني، وأنا أتلو سورة القلم، وأعيدُ تلاوتها مرَّات ومرَّات؛ وأطالع هذه المعاني السامقة، أسمو بها ومن خلالها؛ أجدُ أنَّ مطلق القولِ ينادي عاليا أن تنبَّهوا ولا تغفلوا: إنَّ القرآن الكريم «الذِّكرِ الحكيمِ» يشمل كلَّ خيرٍ وبرٍّ، ويَفتح البابَ واسعا لكلِّ

جمال وجلالٍ؛ ثم يضع الناس أمام مسؤولياتهم العظيمة في عمارة الكونِ؛ ويهمس في آذانهم بصوت خافت حليمٍ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

د. محمد باباعمي

باسة وافضل، بني يسجن

يوم الأحد 5 ذو الحجة 1441هـ - 26 جويلية 2020م.

قال الله تعالى:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿1﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿2﴾

بذور المعنى

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: أوَّل أمرٍ نزل من السماء إلى الأرض فعل ﴿اقْرَأْ﴾، فباسم الله تكون القراءة، ويتحرك فعل الكتابة بالدواة (نون) والقلم وما يسطُر الناس من كلمات ومعانٍ هي سرٌّ من أسرار تفضيل بني آدم على جميع خلق الله جَلَّجَلَالُهُ؛ واسم الله تعالى هو الذي منح محمدا بن عبد الله ﷺ رِفعةً وقدرًا، أمَّا الإعراض عنه فهو حطٌّ بالإنسان أسفلَ سافِلين، وعلامة لشقاء بني البشر إلى يوم الدين. وبرحمة الله نطالع أجواء يوم القيامة بما فيها من جزاءٍ للمحسنين وعقابٍ للمسيئين؛ وإلى الله سبحانه المردُّ

ولأجلِه الصبرُ؛ وأفضل مثال تسردُه السورة نموذج سيدنا يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، صاحبُ الحوت، حين لم يصبر عانى معاناة شديدةً، ثم تاب الله عليه، وتداركه نعمةٌ من ربه سبحانه.. ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

- ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: ﴿نٓ﴾ هي من الحروف المتقطِّعة التي تشكِّل نواةَ العلم وخليته، وبذرة المعرفة ومادَّتها؛ وهذه أوَّل سورة نزلت مفتتحة بحرف متقطع، باعتبار ترتيب النزول.
- يوافق مستهلُّ السورة ﴿نٓ﴾ ورودَ مشهد من قصَّة سيدنا يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو المسمَّى ﴿ذَا النُّونِ﴾، باعتبار أنَّ «النون هي السمكة».
- وقيل كذلك في شكل (ن) شبهٌ بالدواة، لتناسب القلم بعدَها.
- بهذه التوجيهات يكون القسَم شاملا لمعانٍ إضافية على الحرفِ المتقطع.
- ﴿وَالْقَلَمِ﴾: شرَّف الله تعالى القلمَ، لشرف العلم الذي يَكتب، والقرآن الذي سيُخطَّ به إلى يوم القيامة؛ أو القلمُ هو ما كتب به الغيبُ، وهو غيبيٌّ لا يعلم حقيقته إلاَّ الله جَلَّجَلَالُهُ. ولا مانع من الجمع بين المعنيين.
- ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: أقسَم الله تعالى كذلك بفعلِ الكتابة،

وبالسُّطور التي كُتِبَتْ بالقلم وحبرَ الدواة؛ أو هو قسمٌ بالقرآن، باعتبار أنَّ أشرف ما يكتُب به القلم وما يسطرهُ هو القرآن الكريم؛ ولا يخفى أنَّ الله تعالى أقسم بالقرآن والكتاب المبين في العديد من الآيات؛ فتكون هذه الآيات مفسرا بعضُها لبعضٍ.

- ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾: المقسَم به هو ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أمَّا المقسَم عليه فهو نفي أن يكون رسول الله ﷺ - المنعَم عليه بالوحي والرسالة - منسوبًا إلى الجنُون، قال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:22]، وقد أخبر الله تعالى أنَّ الكفار يزلقون رسول الله بألسنتهم ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾؛ وفي الآية ردٌّ وتسفيه لهم ولما يقولون.
- وعبارة ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ جملةٌ معترضة، معناها «إنَّ ما أنت فيه من مكانة وقدرٍ وما نُفي عنك من نقص» ومنه الجنون - ليس مِن ذاتك، ولكنَّه نعمةُ الله عليك -. وكلُّ ما يغمر إنسانًا من خيرٍ قلَّ أو كثر هو من الله سبحانه، وهو بنعمة ربه الكريم جَلَّجَلَالُهُ.

التشغيل والتفعيل

- التواصل والتفاهم بين الناس يكونُ بالنطق ويكون بالكتابةِ؛ وهما أعظم ما ميَّز الله تعالى به الإنسانَ على

سائر المخلوقات؛ وليس من فرقٍ بين مقام الإنسان ومقام الحيوان إلاَّ العقل والنطق والكتابة والفكر وما به يختصر الزمان والمكان، وينقل الخواطر وخلجات النفوس، ويعرض ما يعتلج في العقل من أفكارٍ؛ ولا حاجة للإنسان إلى تجسيد كلّ ما حوله ليفهمه من حوله.

- بعض التفسيرات للحرف ﴿ن﴾ ليس لها سندٌ ولا دليلٌ، ومن ذلك أنها «آخر حرف من اسم الله تعالى الرحمن»؛ ولا يخفى أنَّ التسامح في التفسير بلا دليل ولا حجَّة من لغةٍ أصيلة، أو نقل صحيح، أو عقل سليم؛ يفتح الباب على التفسيرات الرمزية الإشارية البعيدة، وعلى هذا الدرب سار بعض الباطنية فأغربوا وأبعدوا.
- الكتابة لها علاقة وطيدةٌ بالزمن؛ إذ الماضي يصيرُ كتابا مقروءً، وتصوُّرات المستقبلِ تدوَّن حتى تتحوَّل إلى واقع حاضرٍ؛ والكتابةُ كذلك تختصر المكان، فتنقل المعارف والعواطف والعلوم والمعاني من مصرٍ إلى مصرٍ، ومن عصرٍ إلى عصرٍ؛ حتى تلتحم بين اثنين آصرةٌ من حبٍّ وفهمٍ وقَبولٍ بسبب مقالٍ أو فقرةٍ، أو معنًى أو توجيه، أو بحثٍ أو كتابٍ، مع تباعد أمصارهما وأعصارهما، وقد لا يلتقيان أبدا، وقد لا يتعاصران أصلا؛ فالعلم والقراءة والكتابة تختصِر المسافات، وتقرّب البعيد، وتزيل حواجز الزمن؛ فهي من أعظم آيات الله تعالى.

من الفكر إلى الفعل

- منَّ الله تعالى على عباده بالقلم وبالكتابة، وبالعقل وبالقلب؛ ولا ريب أنَّ شكر تلك النعمة يستوجب العناية بها، وتوظيفها فيما خُلقت له.
- لولا الكتابة لضاعت حاجات الناس الخاصَّة والعامَّة، ولما تطوَّرت البشرية في المعارف والعلوم، ولما تناقلت الأجيال بعضها عن بعض خبراتها، ولكانت الحاجة في كلّ جيل إلى البدء من الفراغ؛ ومن ثم كانت الكتابة عنوانَ الحضارة ودليلها، وكانت قبل ذلك سببها وشرطها.
- الإعلاء من شرف العلم وأهله لا يختلف حوله اثنان، وتبقى الصورة والشكل والكيف، كلُّ ذلك مجالٌ للاجتهاد والبحث والتحقيق.
- حتى مع توفُّر وسائل التواصل، تبقى الكلمة المكتوبة هي محور المعرفة، ولا يمكن للكلمة المسموعة أن تقوم مقامها، فلا يعرف عالم حقيقيٌّ تكوَّن على السماع دون الكتابة، إلاَّ ما كان دجلا ودغلا.
- للقراءة: «**التحدّي**» ضمن «**موسوعة مهاتير**» محمد مهاتير؛ «**الكتابة نشأتها وتطورها عبر التاريخ**» محمد قدوح.

قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝١٠﴾

بذور المعنى

- ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: وعدٌ من الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ الذي أدَّى الأمانة كما أمره الله تعالى، ولقي في سبيل مهمَّته عنتًا شديدًا، من ذلك أنَّ الكفَّار رموه بالجنون وبالسحر؛ فكان جزاؤه عند الله أن أعدَّ له أجرا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطُوع، بل هو أجرٌ وجزاءٌ ممتدٌّ، ومتزايدٌ، وأبديٌّ؛ وهو مع ذلك أجرٌ لا يتبعه منٌّ ولا أذىً.
- وردت عبارة ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أربع مرات في كلام

الله تعالى، ثلاثٌ منها بُشِّر به المؤمنون الذين يعملون الصالحات، وواحدة بشِّر به سيد المؤمنين وأسوتهم محمد ﷺ؛ ففي سورة فصلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[فصلت:8]، وفي سورة الانشقاق: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[الانشقاق:25]، وفي سورة التين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[التين:6].

التشغيل والتفعيل

- من بديع حِلم الله تعالى، ومن جميل كرمه، أنَّه لا يمنُّ بالأجرِ على عباده، ولا يتبع إنعامه بالمنِّ والأذَى؛ بهذه الصفة الربانية العظيمة وجبَ علينا أن نتخلَّق في تعاملنا مع الناس، قال تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالاَذَىٰ﴾[البقرة:264].
- كيف نجمع بين كونِ أجرِ الله تعالى غيرَ ممنون، وأنَّ الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾[الحجرات:17] الجواب أنَّ منَّ اللهِ تعالى على الأعراب جاءَ ردًّا على منِّهم على رسول الله أنَّهم أسلموا؛ فكان مشاكلةً وردًّا للأمورِ إلى نصابها؛ ولكنَّ القاعدةَ والأصل في نعمة الله تعالى وفي أجره: أنّه لا

يمنُّ على عبادِه، بل يدعوهم للشكرِ والحمدِ، ويجزل لهم العطاء الممتدَّ بلا أذًى، ولا ينتظر من أحدٍ نفعًا ولا ضرًّا؛ سبحانه جل شأنه.

من الفكر إلى الفعل

- لا واجب على الله تعالى إلا ما أوجبه على نفسه سبحانه.
- الأجر العظيم غير الممنون من الله تعالى كان جزاء لرسوله الكريم الذي صبر على أذى قومه، وقد رموه بالجنون؛ فناسب قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.
- الأجر غير الممنون هو للرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو للمؤمنين معه الذين وعدهم الله سبحانه به، إذا أتوا شروطه. وأعظم شروطه «الإيمان والعمل الصالح».
- يجب أن يكون قول المرء وعقيدته مطابقا لفعله وعمله، وأن لا ينفصما ولا يتناقضا.
- ردُّ كل فضل ونعمة إلى الله الكريم المنعم من شروط صحَّة التوحيد، ومن تمام حسن الخُلُق؛ به يكتمل إيمان المؤمن، وبه يُرفع عند الله أعلى مقام.
- للقراءة: «**تبيين أفعال العباد**» أبو العباس أحمد؛ و«**إحياء علوم الدين**» أبو حامد الغزالي.

قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ١١﴾

بذور المعنى

- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: أكّدت الآية بثلاثِ مؤكّدات، وبيَّنت أنَّ ما يصدر من رسول الله ﷺ من تصرُّفات وطباعٍ وعِشرةٍ جميعُه رفيعُ القدرِ والشأنِ؛ ولقد كان محمد عليه السلام صورةً حيَّة من القرآن الكريم؛ فما ورد فيه من محاسن تمثَّلها وكان الرايةَ فيها، وما ورد فيه من مساوئ اجتنبها وحاربها.
- حديث عائشة رضي الله عنها يفسِّر معنى الخلُق العظيم: سأل سعد بن هشام عائشة رضي الله عنها، وذلك حين قدم المدينة؛ قال: قلت: «يا أمَّ المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله

ﷺ». قالت: «أما تقرأ القرآن؟ قال الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فإنَّ خلُق نبي الله القرآن» قال: «فَهَمَمْتُ أن أقوم ولا أسأل أحدًا عن شيءٍ حتى أموت»[رواه مسلم].

- في الآية إشارة لطيفةٌ إلى أنَّ الخلُق العظيم لا يلائم وصف «الجنون»؛ وأنَّه كلَّما كان الإنسان أحسن خلُقا كان أرجَح عقلا، وكلَّما ساء خلُق المرء اقترب من الجنون؛ وليس الجنونُ ذهابُ العقل فقط، ولكنَّه كذلك اختلال التوازن في عقل الإنسان، وفقدان المعنى والوجهة.
- الأخلاق كامنةٌ في النفس، ومظاهرُها تصرُّفات صاحبها في جميع أحواله: كلامه، وعشرته، وحكمه، وأدبه مع من هو دونه ومن هو أكبر منه... وجماع الخلق الحسن التديُّن والتعبُّد كما أمر الله تعالى.
- من تعاريف الخلق أنه: «ملكةٌ نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة»، قال الرازي: «واعلم أنَّ الإتيان بالأفعال الجميلة غيرٌ، وسهولة الإتيان بها غيرٌ»، فهي مراتب وليست مرتبةً واحدًا.

التشغيل والتفعيل

- هي أعظم شهادة نزلت من السماءِ إلى الأرض، في الرفع من شأن عبدٍ من عباد الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

- الأخـلاق هـي مـن الـضـروريـات فـي الـديـن، ولـيست من التحسينيات، كما صنفها البعض في سلَّم مقاصد الشريعة؛ لأنه يُحتاج إليها، ولا تستقيم الحياة إلاَّ بها، وغيابها يؤدي إلى هلاك الأفراد والأمم.
- كلُّ نبيءٍ من أنبياء الله تعالى اختصَّ بخلق بزَّ به غيره؛ وأمِر خاتم النبيئين محمد ﷺ أن يقتدي بالكلّ، فجمع ما تفرَّق عندَ غيره؛ وبهذا كان على خلقٍ عظيمٍ، وهو عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما يسمّيه المتصوفة «نقطةُ الجمع» أي جمع ما تفرَّق عند غيره.
- قالت «كارين أرمسترونغ» في كتابها «محمد، نبيٌّ لهذا الزمان»: «لقد قدَّم مُحمدٌ ﷺ، كونَه شخصية نموذجية، قدَّم دُروسًا مُهمَّةً للبشرية، ليس للمسلمين فحسْب، بل ولأهل الغرب أيضًا... لقد كرَّس محمدٌ ﷺ حياته لمُحارَبة الظلم والجشَع والطُّغيان، لقد أدرك محمد ﷺ أنَّ الجزيرة العربية كانت على مُفترَق طرُقٍ، وقد علم أنَّ العادات القبليَّة لم تَعُد نافعةً كمنهَجِ حياةٍ؛ لذلك قام محمد ﷺ ببذلِ نفسِه وجهدِه لتقديم حلولٍ وترسيخ منهجيَّة جديدةٍ للحياة».

من الفكر إلى الفعل

- من تمام خلق رسول الله ﷺ أنه لا يتكلف: ﴿وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ كما جاء في سورة ص.
- اللهم جمِّلنا بالأخلاق، وحسن خلقنا كما حسنت خلقتنا.
- اللهمَّ ارزقنا بعضًا من حالة أسوتنا محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الانجذاب إلى الخير بالفطرة، والنفور من الشر بالفطرة.
- «ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك».
- للقراءة: «**دستور الأخلاق في القرآن**» محمد عبد الله دراز؛ و«**خلق المسلم**» محمد الغزالي؛ و«**ألوان من الخلق العظيم: صور من خلق رسول الله ﷺ**» محمد مختار قنديل.

قال الله تعالى:

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿5﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿6﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿7﴾

بذور المعنى

- ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾: قريبًا سترى وسيرون الحقيقةَ كما هي، يا محمد؛ وذلك إمَّا في الدنيا بإدراك عاقبة الأمر بعد وقتٍ غير بعيدٍ، بأن ينصرك الله تعالى ويخذلهم، ويصدِّقك الناس ويكذِّبونهم؛ أو التهديد واردٌ للآخرة، أي ستعرفون مصيركم، وسترونه رأي العين: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق:22]، ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾[القمر:26].
- والحال أنَّ مصير الآخرة من مصيرِ الدنيا، ومصير الدنيا من جنس مصير الآخرة؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾

[القمر:27]، ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور:31]، ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنَ اَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اِهْتَدَىٰ﴾[طه:135].

- الإبصار إمَّا معناه الإبصار الحسيُّ، أو العلمُ، أي فستعلم ويعلمون؛ فيكون فعل «تُبصر» مثل فعل «ترى» في الدلالة الحسية والمعنوية.
- ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾: هم رَموك بالجنون، وفُتنوا أي جنُّوا هم لا أنت؛ والفتون هو الجنون؛ أمَّا أنت يا محمد فموصوف بما يخالف الجنون، من عقلٍ حصيفٍ، وقلبٍ رزينٍ وخلُق عظيمٍ.
- وقد يكون المعنى ستعلم من فُتن عن الصواب وعن الحقِّ، وضلَّ عن سبيل الله تعالى، حتى حقَّ به وصف ﴿الْمَفْتُونُ﴾ دون غيره.
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: هو تأكيد لِما سبق من معنى أنَّ المفتون عن الحقّ، وأنَّ الضالَّ عن سبيل الله تعالى، إنما يعلَمه ربك يا محمد، وهم إنما يدَّعون العلم ويزعمون أنهم هم المحقون والمصيبون، وهم في زعمهم كاذبون، وفي ضلالهم يعمهون.
- ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: والله تعالى يميّز بين الضال والمهتدي، ويعلم هذا كما يعلم ذاك؛ وعلم الله تعالى

يقتضي أن يجازي كلاً حسب ما علم فيه.

- الوصف الحقُّ والفرقُ البيّن بينك وبين هؤلاءِ أنهم على «ضلال» وأنت على «هداية»؛ والثمرة التي تكون لهذين الوصفين أحقُّ بالعناية من الثمرة التي تكون بين «الجنون» و«العقل»؛ وإن كنت على الحقيقة أنت العاقل وأنت المهتدي، وهم المجانين الضالُّون عن سواء السبيل.

التشغيل والتفعيل

- تقول العرب للمجنون: «فَتنته الجن» ولذا سمي الجنون عندهم فتنة.
- وردت الآية ثلاث مرات في ثلاث سور، لكن في سياقات مختلفة، مرَّة واحدة بفعل مضارع «يضلُّ»: ففي سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَّضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[الأنعام:117]؛ ومرتان بالفعل الماضي: في سورة النحل، وهذه الآية من سورة القلم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل:125]. ولا أعرف سرَّ تباين الفعل بين المضارع والماضي؟.
- المؤمن الصادق الإيمان هو الذي يعنيه أن يرضى الله تعالى عنه، ولا يبالي إذا سخط الناس جميعا؛ ويكره أن يغضب الله تعالى عليه ولو كان جميع الناس راضين عنه؛ ففي

قصيدة أبي فراس الحمداني نقرأ:

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ
وليتك ترضى والأنامُ غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ
وبيني وبين العالَمين خرابُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هيِّن
وكلُّ الذي فوقَ التراب ترابُ

من الفكر إلى الفعل

- الآية تحث على الصبر، وعلى ارتقاب المصير، وعدم استعجال الجزاء والعقاب؛ وذلك من الخلُق العظيم الذي وصف به سيد الخلق محمد ﷺ.
- لا اعتبار للكلمات والألفاظ، وإنما العبرة بالمعاني والمحتويات؛ فقولهم عن النبيء عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنه مجنون، أو ساحر... لا قيمة له، إذ حقيقة الأمر خلاف ما يتخرصون ويقولون. وهذا أصل في الدعوة وفي العلاقة بين الناس.
- معنى الآية ومدلولها ملائم لقول رسول الله ﷺ: «**ربّ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي**».
- للمطالعة: «**ديوان أبي فراس الحمداني**» الحارث بن أبي العلاء أبو فراس الحمداني؛ و«**تاريخ الجنون: من العصور القديمة إلى يومنا هذا**» كلود كيتيل.

قال الله تعالى:

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾

بذور المعنى

- ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾: أراد الكفَّار من سيِّدنا محمد ﷺ أن يزاوج بين عبادة الله وعبادة آلهتهم، فيفعلوا ذلك هم كذلك، في نوع من المساومة والمناورة في أمرِ التوحيد والعقيدة؛ ولكنَّ الله تعالى ثبَّت نبيَّه وحمَّسه على أن لا يُطيعهم، وهو عَلَيْهِ السَّلَامُ - بفضل الله عليه - لم تكن له أيُّ نية في طاعتهم فيما يخالف الإيمان والعقيدة الصحيحة، وكأنه تعالى يقول له: «دُم على مخالفتهم فإنّك على الحقِّ المبين».
- والأمر بعدم طاعتهم فيه تيئيس للكفَّار أنَّ الحكم حكمُ

النبي ﷺ وهو نفسه حكمُ ربِّ النبيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا مطمع في تسويةٍ، ولا رجاء في طاعة لغير الله جَلَّ جَلَالُهُ.

- ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾: أدهن فلانٌ في الأمر أي ألان وصانَع وقاربَ في الكلام طلبًا للموافقة، قال المبرد: «داهن الرجل في دينه، وداهن في أمره، إذا خان فيه، وأظهر خلاف ما يُضمر»؛ والكفَّار المكذِّبون قد ودُّوا أن لو ألان الرسول ﷺ موقفه في العقيدة معهم، إذن لألانوا هم كذلك موقفَهم؛ غير أنَّ أمر توحيد الله الأحد الصمد ليس ميثاقا اجتماعيا أو اقتصاديا، ولا هو مناورة عسكرية أو سياسية، فيطلب فيه اللين والتحاور، والرفض والقبول؛ وإنما أمر التوحيد أمرٌ مصيريٌّ وجوديٌّ لا مساومة فيه ولا مداهنة.

التشغيل والتفعيل

- باسم السلام العالمي، ومواثيق الإنسان، أحيانا يجرُّ المسلمون إلى موقفِ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ غير أنَّ الحقيقة المرَّة أنَّ المسلمين اليوم يُدهنون ويأخذون الدنيَّة في دينهم، والمتحكِّمون من غيرهم لا يُلينون ولا يدهنون؛ وهم قد قيَّدوا حركة العالم المتخلف بقوانين وإجراءات كلُّها شدَّة وعنفٌ، وظلم وجورٌ؛ ولكن السبب جليٌّ ظاهر متمثّل في هشاشة المسلم في إيمانه، ثم إلانته ومداهنته

فيه، ثم تأتي المجالات الأخرى لتؤكد ضعفه وتبعيته.

- ورد النهي عن طاعة العباد الضالّين في كلام الله تعالى عشر مرات: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾[الكهف:28]؛ ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾[الفرقان:52]؛ ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت:8] و[لقمان:15] للوالدين المشركين؛ ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[الأحزاب:1، 48]؛ وفي القلم ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾؛ ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ [الإنسان:24]؛ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[العلق:19].

- ما كان رسول الله ﷺ ليساوم في أمر التوحيد، وهو الذي قال لعمّه في بداية الدعوة، جوابا للمشركين الذين ساوموه: «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته»[سيرة ابن هشام].

من الفكر إلى الفعل

- ﴿لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ أمر ربانيٌّ إيمانيٌّ حضاريٌّ، تبنى عليه أحكام السياسة الشرعية كلّها. ولقد سقطت الدول الإسلامية عبر التاريخ على عتبة موالاة الكفار ومحاربة المؤمنين، لأسباب واهيةٍ مصلحيةٍ لا اعتبار لها.
- لا يجوز أن يداهن المرء في أمور دينه، وجاز له أن يُلين ويداري فيما لا يخدش إيمانه ودينه، ولا يحط من قدر أمته وحضارته.
- من تثبيت الله تعالى لرسوله أن لا يساوم في أمر التوحيد، نستفيد أهمية أن يثبّت المسلمون بعضهم بعضا، ويذكّر بعضهم بعضا؛ ولا أحد يعلو على النصح والتذكير، ثم لا أحد يضمن أن لا يحيد ولا يزيغ.
- للقراءة: «**الأحكام السلطانية**» للماوردي. و«**نحن والحضارة الغربية**»، و«**الجهاد في الإسلام**» أبو الأعلى المودودي.

قال الله تعالى:

وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿10﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿11﴾ مَنَّاعٍ
لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ اَثِيمٍ ﴿12﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿13﴾

بذور المعنى

- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾: بعد نهي الله تعالى رسوله ﷺ عن طاعة المكذِّبين عامَّة، خصَّص صفاتهم التي بها يُعرفون، والنهيُ منصبٌّ على ﴿كُلَّ﴾ مَن كانت هذه صفاته، أي على شمول من يتَّصف بها، ولقد ذكَر المفسرون أنَّ الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال آخرون: في الأخنس بن شريق، وقيل: في الأسود بن عبد يغوث، وقيل: في أبي جهل؛ ولم يصرَّح في الآية بأحدٍ منهم؛ ذلك أنَّ المراد التعريض، والنهي على العموم لا على الخصوص.
- يكفي أن يتَّصف أحد بصفة واحدة من هذه الصفات،

في أي عصرٍ ومصرٍ كان؛ حتى يصدق النهي عن طاعته، وليس المراد أن تجتمع فيه هذه الصفات كلُّها، ولا أنَّ النهي لزمن دون آخر؛ قال تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ على الإطلاق، ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان:52].

- الحلاَّف هو المُكثر من الحلف والأيمان، يُضيف ابن عاشور نكتة بليغة في قوله: «وأحسب أنَّه أريد به الكناية عن عدم المبالاة بالكذب والأيمان الفاجرة، فجُعلت صيغة المبالغة كنايةً عن الحنثِ، وإلاَّ لم يكن ذمُّه بهذه المثابة».
- والمَهين هو الحقيرُ الذليلُ، الذي يقول ويفعل ما به يَفقِد كرامتَه؛ ومن ذلك أنه فاجرٌ فاسقٌ، بذيءُ اللسان، مِكثار الشتم، سيء الخلق، سفيه العمل.
- ﴿هَمَّازٍ﴾: كثير المشي بالهمز، والهمزُ الطعنُ بالعُود واليد وكلِّ ما له طرف حادٌّ، واستُعمل للأذى باللسان السليط من مثل الشتم، والغيبة، والقول السفيه؛ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة:1].
- ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: الذي يمشي ويكثر المشي بالنميمة بين الناس، والمشيُ بالنميمة فيه تصوير للحالة القبيحة التي يكون عليها الذي يبذل جهدًا، ويسعى حثيثًا، لا

لخيرٍ وصلاحٍ؛ ولكن لحمل الكلام من أحدٍ لأحدٍ قصدَ الإيقاع بين الناس، وبغية الفساد في الأرض بغير وجه حقٍّ. والنميمة هي نقل الكلام بقصدِ الإفساد.

- ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: لا يمنع الخير فقط؛ ولكنه يبالغ في صيغ المنع والامتناع، لشحٍّ فيه، وبخلٍ متحكم يصوغ شخصيته. ولعلَّ المراد الردُّ على قولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[المنافقون:7]؛ ولكن، تبقى الصفة لصيقة بهم سواءً في حق من آمن، أو حتى في علاقتهم بمن لم يؤمن؛ فصيغة المبالغة ﴿مَنَّاعٍ﴾ دليلٌ على تجذُّر الاتصاف فيهم.
- ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: وهو كذلك يبالغ في العدوان، بسببٍ وبغير سببٍ. والأثيم كثير الإثم والعصيان، وهو الذي يرتكب الآثام، وكذلك من صفته الخيانة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[النساء:107].
- ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: العتلُّ هو سيّءُ الخِلقة سيء المعاملة، والزنيم هو اللصيق في النَّسب، غير أصيلٍ في قومه. وهو تعريض بهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات، وبأنهم أغلظوا القول في غيرهم مع أنهم ليسوا أصلاء.
- ومعنى ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي مع جميع ما ورد من الصفات

هو كذلك موصوفٌ بأنه زنيمٌ؛ ذلك أنَّ كونه زنيمًا ليس صفةً من كسبه، ولكنها صفةٌ ورِثها، وإنما عيِّر بها لأنه عيَّر بها غيره، على غير وجه حقٍّ، أي عيَّر بها الرسول ﷺ.

التشغيل والتفعيل

- قال القطب اطفيش: «وكثرة الحلف تدلُّ على عدم استشعار عظمة الله عزَّ وجل؛ لذلك بدأ به هذه المناهي، وهو أصلُ كلِّ شرٍّ... والمتهاون به [بالله] سبحانه يقتحم كلَّ سوءٍ، ولا يبالي بسوء ظاهرٍ ولا باطن، في قلبٍ ولا في جارحةٍ».
- نهى الله تعالى عن كثرة الحلف ولو في الحقِّ، لما فيها من الجرأة على اسم الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة:224].
- الذي وصف رسول الله ﷺ بالجنون وصفه الله تعالى بعشرةِ أوصاف قبيحة، كذا من صلى على رسول الله مرَّة واحدة صلى الله عليه عشرًا، ومن وصفه بصفة واحدةٍ مؤمِنا موقِنا حباه الله تعالى عشر صفات حسنة تجمِّله بين الخلق، وتحسِّنه بين العالمين. فاللهمَّ نسألك حبَّك، وحبَّ رسولك محمد ﷺ.

من الفكر إلى الفعل

- ينهانا الله تعالى أن نتصف بالصفات الخسيسة التي وردت في الآية مجتمعة؛ أو أن نتصف بإحدى هذه الصفات؛ ففيها تربية لنا لنكون على خلقٍ عظيمٍ. اقتداء بالرسول الكريم ﷺ.
- حبُّ رسول الله ﷺ، وبغض من سبَّه أو انتقص من قدره، من أوكد صفات الإيمان بالله تعالى، ومن أدلة صدق إسلام المرء.
- لا طاعة إلا لله تعالى، أو لمن أمر الله تعالى بطاعته؛ فلا طاعة لمن عصى الله، أو أمر بمعصيته، أو نهى عن طاعته.
- للقراءة: «**مفاهيم ينبغي أن تصحح**» محمد قطب؛ و«**على خطى النبي**» طارق رمضان.

قال الله تعالى:

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿14﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿15﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿16﴾﴾

بذور المعنى

- ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: تقديره لا تطع من كانت أوصافُه هذه لكونه صاحبَ مالٍ وبنين؛ ورسول الله ﷺ ذكَّره ربُّه بهذه الحقيقة وهو الذي عصمَه من كلّ ما يشين؛ وذلك ليثبّته على الحقِّ أوّلا، ثم ليقتديَ به المؤمنون ثانيًا؛ فلا يجعلوا المال والبنين معيارا للطاعة، ولا سببا لأن يطاع صاحبه؛ وإنما الحقُّ هو المعتبر.
- في سورة الأحزاب بيان لمصير من أطاع ﴿ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ يوم القيامة، وأنه سبحانه مهلكه هلاكا شديدا: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَآ أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا

(66) وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾ [الأحزاب:67].

- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الاَوَّلِينَ﴾: هذا الحلاَّف المهينُ الذي أمرناك أن لا تطيعه يا محمد، ليته لـمَّا جاءه الحقُّ ونزلت عليه آيات الله تابَ وعادَ إلى الرشد؛ ولكنَّه عاند وواصل في غيّه، بأن يقول كلَّما تُليت عليه آيات الله: ما هذه إلاَّ أساطيرٌ وخرافاتٌ نقلها محمد عن الأوَّلين: ﴿وَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الاَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[الفرقان:5].

- ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: الوسمُ هو العلامة، سنسِمه أي سنجعل له سمةً وعلامةً يُعرف بها، والغالبُ في الدواب أن يكون الوسمُ بالكيِّ؛ والخرطوم هو الأنفُ، يغلب استعماله للفيل والخنزير، ولا يستعمل للإنسان إلاَّ في مقام الإذلال.

- ووسمه بالخرطوم أي أذلَّه أيما إذلال، وجعل علامةً في خرطومه (لا في أنفه) يُعرف بها، ويعيِّره الناس كلَّما رأوها فيكون الكلام في الآية على الحقيقة لا مجاز فيها، وقيل: إنَّ ذلك يكون يوم القيامة، بأن يسمه الله تعالى فيعرِفه الناس. وقيل: إنّما ذلك في الدنيا، بالإهانة والإذلال، ومن ذلك أنَّ ذمَّه يتلى في القرآن الكريم إلى يوم القيامة فيكون الكلام في الآية مجاز، ولعلّ الصواب أن يكون ذلك في الدنيا وفي الآخرة معًا؛ فهو ذليل مهين اليوم وغدا، وهو المهينُ دائمًا

وأبدًا.

التشغيل والتفعيل

- في الحديث الشريف: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه»[رواه مسلم]، ومن باب أولى جاء النهي عن الكيّ في الأنف لأنَّه مركز الوجه.
- من الأنف اشتقت الأَنَفة، والعزّةُ مرتبطة بالأنف؛ يقال: «فلان شامخ الأنف» مدحا، ويقال: «رغم أنفه» ذمًّا.
- في سورة المدثر قال الله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّآ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[المدثر:11-17] والآية نزلت في الوليد بن المغيرة، ونقل بعض أهل التفسير الإجماع في ذلك.

من الفكر إلى الفعل

- ليس المال والبنون، ولا أيُّ مظهر من مظاهر السلطة والقوَّة، مسوغا لأن يُطاع صاحبها؛ وإنما الطاعة لمن أطاع الله سبحانه، والعصيان لمن عصى الله جَلَّجَلَالُهُ.
- من آذى رسول الله ﷺ كان عقابه من الله تعالى شديدًا أليمًا؛ وصاحب الأذى يفقد كلَّ أمل في خير أو سعادة؛ إلاَّ أن يتوب لله تعالى، فيغفر الله تعالى له.
- حُقَّ اللعن لمن آذى الله ورسوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.
- للقراءة: «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» القاضي عياض (ت. 544هـ)؛ «**دفاع عن محمد ﷺ ضدَّ المنتقصين من قدره**» عبد الرحمن بدوي.

قال الله تعالى:

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18)

بذور المعنى

- ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: الضميرُ عائد إلى أهلِ مكَّة، أي نحن الذين اختبرناهم بالمال والبنين، وبالجاه والمكانة؛ ثم أرسلنا إليهم منهم رسولاً لننظر هل يؤمنون به أم يكفرون؟. والابتلاء من الله تعالى لعباده رحمة بهم إذا هم تعلقوا به ورجعوا إليه، ونقمة إذا تجبَّروا وتعنَّتوا.
- ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: هذه الجنَّة كانت باليمن، كما ورد في بعض التفاسير، وكانت لرجل مؤمن يؤدّي حقَّ الله تعالى، لا يبخلُ به ولا يشحُّ، فبارك الله له فيهَا، ونمَّاها فكثُر خيرُها؛ ثم مات الرجل فآلت إلى ولده من بعده؛ فمنَعوا

خيرَها، وبخلوا بحقّ الله طمعا منهم وفسادَ خُلقٍ. وكان هؤلاء يجذُّون التمر ليلاً ليخفى الأمرُ على المساكين، فلا يطالبوا بحق الله وحقهم.

- ﴿إِذَ اَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾: ناسَب قسم هؤلاء المضروب بهم المثل صفة «حلاَّف» التي مرَّت، وناسب صفة ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ نية هؤلاء صرم التمر ليلاً، وعدم ترك حقّ للفقراء على النخل.
- والصرم هو الجذُّ والجزُّ والقطع، أي أقسموا أنهم يقطعون الغلَّة أول الصبح، قبل أن يخرج المساكين من بيوتهم.
- ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: تحتمل معنيان: الأول: أنّهم لم يقولوا «إن شاء الله»، والاستثناء في القسَم تعليقه بالمشيئة الإلهية. وهم قد توهموا الاعتماد على أنفسهم، واتكلوا على ظاهر الأسباب، ونسوا ربَّ الأسبابِ، وأنهم ضعفاء لا يقدرون على شيء إلاَّ بأمر من الله.
- والثاني: أنّهم لا يعزلون نصيبًا من الثمار للفقراء والمساكين وأصحاب الحقوق التي تركها أبوهم، ولا يستثنونها مما يأخذون لأنفسهم، مما هو حقٌّ لهم.

التشغيل والتفعيل

- من رزق بمال، فليُصلح به آخرته، قبل أن يضعَف ويشيخ،

وقبل أن يموت ويتركه لخلَفه، لا يدري أينفعونه به أم يتنكَّرون له. وفي الحديث الشريف المروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى؛ ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقومَ قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا...»[رواه مسلم].

- كم من متحكِّم في أموال الناس في عالمنا - يشبه هؤلاء - إذ لا يعتبر حقَّ الفقراء والمساكين، ولا حتى حقَّ عامَّة الناسِ، ممن هم تحت حكمِه ورئاسته وإمارته؛ وإنما يستأثر بالخير فيفحُش في الغنى، ويكون ذلك على حسابِ الشعب الذي تطحنه الأزمات، وتذلُّه الحاجات؛ وهذا من أعظم أسبابِ فساد البلاد الإسلامية اليومَ.

من الفكر إلى الفعل

- الحكيم من ورَّث ذريته الكرم وحسنَ الخلق؛ ولكن ليس كلُّ الناس يقدر على ذلك؛ فمنهم من يبتلى بفساد الذرية؛ ولا يأمن أحد ذلك.
- من جميل الدعاء في هذا الشأن، مما ورد في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنَ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾. وربِّ ﴿أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.
- على المسلم أن يردَّ أمره إلى الله كلّه، ومن ذلك أنه إذا عزم على أمر فليستثن، أي فليقل: «إن شاء الله». قال جل من قائل: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ اللهُ﴾.
- للقراءة: «**فخُّ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية**» هارالد شومان، هانس بيتر مارتن..

قال الله تعالى:

فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿19﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿20﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿21﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿22﴾

بذور المعنى

- ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: الطوافُ هو الدوران حول شيءٍ من كلِّ جوانبه؛ والمعنى هنا أنَّ سبب الهلاك حامَ وطافَ حول الغلَّة من كلِّ جوانبها ولم يبق شيئا لهم، ولم تذكر الآية شكلَ هذا الطائف ولا نوعَه، ويكفي أن ينسب إلى الله سبحانه، وأن يكون منه لا من غيره: ﴿طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾؛ ثم إنَّ الغرض هو ما آلت إليه الجنَّة لا ما حلَّ بها؛ والطائفُ لا يكون إلاَّ بليل.
- ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ أي وقت نومهم، أو حال نومهم؛ فهم قد نووا أن يصرموها مصبحين والفقراء المستحقين لها

نائمون، فعوقبوا بجنس ما نووا.

- ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾: للصريم معانٍ كثيرة، منها الليلُ البهيمُ، ومنها الرمادُ الأسودُ، ومنها رملةٌ معروفةٌ باليمن؛ والحاصل أنها صارت محترقة لا تثمِر ولا تُنبت؛ ويصلح أن تكون جميع هذه المعاني متمثلة في حال الجنة الهالكة.
- ﴿فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ (21) أَنُ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾: نادى بعضُهم بعضًا، أن اُخرجوا باكرًا، واغدوا إلى حرثكم وجنَّتكم، إن كنتم تنوون صَرمها، كما تم الاتفاق عليه بينهم من قبل.
- وفيه دليلٌ أنَّ بعضهم تباطأ وتردَّد في الإقدام على هذا الفعل القبيح الذي تعرف النفس أنَّ فيه مخالفة للحقّ ولأمر الله، ومخالفة لما كان عليه والدهم من كرم ومن سخاء.
- ونسبة الحرث إلى أنفسهم يكشف عن تسويغ خفيٍّ لفعلتهم هذه، فكأنهم قالوا: هذا حرثنا وحرثكم، وليس حرث الفقراء والمساكين؛ فلن نعطي منه شيئا للفقراء والمساكين؛ وهو شبيه بمقولة قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص:78].

التشغيل والتفعيل

- قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الإنسان:30] فالله تعالى هو الذي تنفذ مشيئته ولا يقهره أحد من خلقه، أمَّا غيره من المخلوقات فإرادته محدودة، وليست مطلقة ولا نافذة في جميع الحالات.

- في الأثر: «يا عبدي، أنت تريد وأنا أريد، فإن سلَّمتَ لي ما أريد أرحتُ نفسكَ، وقضيتُ لك ما تريد، وإن نازعتني فيما أريدُ أتعبتُ نفسَك، ولا يكون إلاَّ ما أريدُ».
- المكر الذي يخطط له الماكر يتحوّل إلى نقمةٍ يلحقه أذاها إن عاجلا أو آجلا: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:43]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:30].

من الفكر إلى الفعل

- من أراد لنفسه خيرًا فلينوِ لغيره خيرًا؛ ومن نوى شرًّا، وقصد ضرًّا؛ فإنَّه لا محالة يحصد ما نوى وما قصد، إن لم يكن عاجلا فآجلا.
- من برّ الوالدين وصلُ من كانوا يصلون، والتصدُّق على من كانوا يتصدَّقون عليه؛ أي عدم قطع الخير الذي كانوا يأتونه قبل أن يتوفاهم الله تعالى.
- فعل الخير يحتاج إلى جماعة ليحمّس بعضهم بعضا، وكذلك فعل الشرّ يكون بسبب جماعة يحمّس بعضهم بعضا على اقترافه.
- مهما أحكمتَ التدبير فتوكَّل على الحكيم الخبير، ولا تظنَّن أنَّ الأسباب التي عملت على توفيرها كافية لتحقيق المسبَّب؛ وهذا منتهى التسليم إلى الله سبحانه.

قال الله تعالى:

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۝23 أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝24 وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ۝25﴾

بذور المعنى

- ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾: انطلق في اللغة معناه اندفع مسرعًا ولا يقال لمن ذهب ببطءٍ انطلق؛ ولقد تحرَّكوا باكرًا مسرعين، وهم يُسرُّون الكلام فيما بينهم، ويقول بعضهم لبعض بهمسٍ: «لا يدخل الجنَّة عليكم اليوم مسكينٌ، فهي خالصةٌ لكم من دونهم».
- ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾: ما قالوه بالتخافت والإسرار دون كلامٍ، قالوه بعد ذلك بالألفاظ مفسَّرا واضحًا، بأنَّ نيتَنا أن نصرِم ثمارَنا ولا نسمح لأيّ مسكين أن يدخل جنتنا.

- ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾: الحردُ هو الغضبُ والحنقُ والغيظُ؛ أي أنهم كانوا غاضبين من أنَّ المساكين يُشاركونهم الثمرات والخيرات، ويتقاسمون معهم محصول جنَّتهم كلَّ عامٍ؛ فهم إذن حانقون من فعل أبيهم، ومن الخير والبرّ والصدقة، رافضون أن يكونوا ممن يتصدَّق وينفع خلق الله؛ وهذا بيان لسوءِ نيتهم وخبث سريرتهم.
- وفي معنى قادرين وردت عدَّة توجيهات، منها: أنهم غدوا وهم قادرون على النكد والحرمان والظلم؛ أو أنهم قادرون على نفع الفقراء والمساكين، ولكنهم آثروا حرمانهم وحملهم على المسكنة؛ أو أنهم عجَّلوا لأنفسهم الحرمان وقد طلبوه للمساكين؛ فغدوا بحالِ فقرٍ، وذهابِ مالٍ؛ لا يقدرون فيها إلاَّ على النكد والحرمان.
- «وفي الحرد مشاكلة للحرث، وفي ذلك تهكُّم بهم، إذ غدوا على حرث ليصرموا الغلَّة، فغدوا على حردٍ، عقابًا لهم».

التشغيل والتفعيل

- في الآيات وصفٌ دقيق لحركات التلصُّص والتجسُّس، والخفتِ والإسرار، واختيار وقت الغفَلات؛ لفعل شيءٍ لا يرضي الضمير، ولا يلائم الحقَّ. وفي حديث رسول الله ﷺ ما يزيدها بيانا، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**البرُّ حسنُ الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطَّلع عليه الناس**»[رواه مسلم].

عن وابصة بن معبدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «**جئتَ تسأل عن البر؟**» قلت: نعم، فقال: «**استفتِ قلبَك، البرُّ ما اطمأنَّت إليه النفسُ، واطمأن إليه القلبُ، والإثم ما حاك في النفسِ، وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتَوْك**»[رواه الدارمي].

من الفكر إلى الفعل

- من نوى خيرا لقي خيرا، فليحمد الله؛ ومن نوى شرًّا وجد شرًّا، ولا يلومنَّ إلاَّ نفسه.
- إذا حاك في نفسك شيء مما تُقدم عليه، وخِفتَ أن يطلع عليه الناس، فاعلم أنَّه من الإثم؛ وتيقَّن أنَّ الله العليم الخبير مطَّلع عليه لا محالة.
- «لا تجعل الله أهونَ الناظرين إليك» فلو أنَّ هؤلاء حسبوا لِعَيْنِ الله تعالى حسابًا لما أقدموا على فعلتهم هذه خفية من الناس.
- كن ممن قال فيه جَلَّجَلَالُهُ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (371) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.
- للقراءة: «**الكشاف**» للزمخشري محمود بن عمر (ت. 538هـ).

قال الله تعالى:

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿26﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿27﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿28﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿29﴾

بذور المعنى

- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: لمَّا عاينوا هلاك جنَّتهم، وتيقَّنوا أنها أحرِقت، فتحوَّلت رمادًا لا خير فيه؛ وكان الوقتُ وسطًا بين ظلمة الليل وإشراق النهار؛ أي أنَّ الرؤيا لا تزال غير ساطعةٍ كما يكون الحال بعد شروق الشمس، وعند الضحى.
- هم حين رأوا ما حاقَ بجنتهم، قال بعضهم لبعض: إنَّنا تائهون في الطريق، مخطئون في تعيين جنَّتنا، فما هي بالجنَّة التي نعرفها: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ حقًّا.
- أو أنهم عرفوا أنها جنَّتهم، وإنما سارعوا إلى الإقرار بأنهم

ضلُّوا السبيل، وجانبوا الصواب، حين نووا حرمان الفقراء من حقٍّ هو لهم. وأكد بعضُهم قائلا: «إنَّنا حُرمنا من ثمار الجنة لأجل ضلالنا».

- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: الأوسط هو الأرجح عقلاً، والأعدل فكرًا، والأمثل رأيًا؛ وقيل هو الأوسطُ في السنِّ؛ ولا ينفي أن يكون هو الأوسط سنًّا وعقلاً؛ «والجمع أولى من الترجيح».
- التسبيحُ هنا هو تنزيه الله وذكرُه، والتوبة له سبحانه من الإثم والمعصية، التي اقترفوها ثم رأوا عقابها عيانًا في الدنيا؛ لعلَّهم يرعوون فينجون في الآخرة.
- ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: سبَّحنا ونزَّهنا ربنا تعالى عن النقصِ، ونستغفره من اعتمادنا على دهائنا وعلى الأسباب الظاهرة ناسين الله تعالى؛ ذلك أنَّ فعلهم فعلُ من نسي أنَّ الله تعالى يراهُ ويسمعُه، وإثمهم إثم من غفل عن حقّه سبحانه، وتغافل عن أوامره وعن حقيقة أنَّ من يؤدّي الحقوق يبارك الله له، ومن يضيّعها يمحق الله ماله وزرعه؛ وكلُّ هذه المعاني جمعوها في أخصر عبارة: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾. أي معترفين بظلمنا، غير مصرّين ولا منكرين له؛ وإنا كنا لظالمين لأنفسنا بالمعصية، وللمساكين بحرمانهم حقَّهم في ثمار الجنة.

التشغيل والتفعيل

- قال القطب اطفيش: «التسبيح على نية التوبة توبةٌ واعتراف».
- ويؤخذ من الآية قاعدة يذكرها الفقهاء: «المعاقبة بنقيض القصد»، كالقاتل مورثه يمنع الإرث، والمطلق زوجته في مرض موته تورث منه، والفار من الزكاة بحيلة لا تسقط عنه؛ لأن أصحاب الجنة قصدوا حرمان المساكين فحرموا.
- يدلُّ السياق أنَّ الأوسط كان رافضًا للفعلة، ولكنَّه ضعُف ابتداءً فسايرهم في الخروج، ثم اكتفى بالقول، وغلبوه بالواقع وبالمبادرة؛ فلم يقدر أن يردَّهم، ولا أن يتخلَّف عنهم، بل غلبوه وأنفذوا أمرهم؛ وفي هذا باب كبير حول ضعف صاحب الحق أمام الداعي إلى الباطل.
- «من العصمة أن لا تجد»، و«من العصمة أن لا تقدر»؛ فمن مَنعه الله تعالى من ارتكابِ الإثم، ولم يجد غايته ومقصده في المعصيةِ، ثم تابَ لا لأنَّه كان قادرًا وواجدًا، ولكن لأنَّه لم يقدر على اقترافها، ولم يجد مرادَه؛ فتلك من عصمة الله تعالى له، ولا إثم عليه إن صدق في توبته واستغفاره، وتسبيحه لله تعالى، واعترافه بظلمه لنفسه.

من الفكر إلى الفعل

- التوبة بعد المعصية، والاستفاقة من الغفلة، واستغفار الله تعالى، مما أمر به الشارع، ونهى عن الإصرار في المعصية.
- في حديث مرفوع: «**عجلوا بالصلاة قبل الفوت، وعجلوا بالتوبة قبل الموت**».
- من الحكم العطائية: «من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيَّدها بعقالها».
- الأوسط والأعدل والأكثر حكمةً في كلّ تجمُّع بشريٍّ هو الذي يضبط إيقاع الحياة على الحقِّ، وهو الذي يذكِّر من معه إذا نسوا، ويستعجلهم بالتوبة إذا أذنبوا.
- للقراءة: «**كتاب التوبة**» ابن أبي الدنيا (ت. 281هـ). و«**قناطر الخيرات**» إسماعيل الجيطالي (ت. 750هـ).

قال الله تعالى:

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿30﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿31﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿32﴾

بذور المعنى

- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾: هي حالةٌ وصلوا إليها بعدما عايَنوا هلاكَ جنَّتهم، وبعدما تبيَّن لهم خطأُ فعلَتهم؛ فشرع بعضُهم يلومُ بعضا، ويحمِّله مسؤولية ما وقع؛ وهي أشبه بحالِ الكفار والمشركين يوم القيامةِ، حين يعاينون الهلاك والعذاب، وحين لا ينفعهم كذبُهم ولا يعلو بهم غرورُهم؛ حينها فقط ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبإ:31]؛ ويكيل بعضهم لبعض اللومَ والعتابَ.
- وفي فعل ﴿فَأَقْبَلَ﴾ عوض الاكتفاء بفعل التلاوم تصويرٌ بديع لتغيُّر الموقف، وشراسة العداوة بينهم؛ والحركة التي

تقع غالبًا بين قومٍ عاينوا الخسارة فتحوَّلوا إلى التلاوم، والتراشق بالتهم، والتخوين.

- ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾: ﴿يَا﴾ حرفُ نداء للبعيد حقيقةً أو حُكمًا، وقد ينادى به القريب تأكيدًا؛ فهؤلاء يلوم بعضهم بقولهم ونداهم: ﴿يَاوَيْلَنَآ﴾... و«يا هلاكَنا»؛ ولقد تعين لهم أنهم كانوا بفعلتهم القبيحة طاغين متجبّرين؛ وبذلك اعترفوا بذنبهم، ولم يصرُّوا على ضلالهم.

- ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾: بعدما اعترفوا بذنبهم، جعلوا يتوبون إلى الله جَلَّجَلَالُهُ، ويعيدون الصلة التي كانت لأبيهم به سبحانه، بأن اعترفوا له بكامل القدرة، وبأنه هو الذي يُعطي ويمنع، يُغني ويفقر، بيده الأمر كلُّه، وله الملك جميعُه؛ فقالوا: عسى، على سبيل الرجاء والدعاء؛ أي نسأل الله ونأمل ونرجو أن يبدِّلنا ربُّنا جنَّة خيرا من الجنَّة التي هلكت بسبب ظلمنا وطُغياننا؛ وها هم يُخلصون النية، ويتوجَّهون كليَّة إليه سبحانه بقولهم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾؛ ولا رغبة لنا في غيره؛ سواءً في الدنيا أم في الآخرة.

- ولقد تاب الله عليهم، ونُقل في الآثار أنَّ الله تعالى أبدلهم جنَّة خيرا من جنَّتهم الأولى، وأنه غفر لهم ذنوبهم؛ فكانوا عبرةً لمن أسرف على نفسه أن لا يقنط من رحمة الله؛ وكان في قصتهم عبرة وتشجيعٌ لمن عصى أن يسارع في التوبة؛

ثم إنَّ الاعتراف بالذنب والمعصية أولى خطوات التوفيق.

التشغيل والتفعيل

- من أسلوب القرآن الكريم عرض القصة قصدا لأخذ العبرة منها، أنَّـه لم يصرِّح بكثير من التفاصيل منها: عددُ هؤلاء الفتية، والزمن الذي قضوه قبل توبتهم التامَّة، وهل قَبل الله تعالى توبتهم أم لم يقبلها؛ لأنَّ محلَّ العبرة تم بما وردَ، والباقي متروك لنباهة القارئ وتقديره؛ وبخاصَّة هو متروك لإسقاطه حاله هو في حياته اليومية على القصَّة، وأخذ العبرة منها: فهل هو ممن يعطي صاحب الحقِّ حقَّه؟، وهل مَنع مَن حوله ما هو من حقوقهم؟، وهل يتوب حين الخطأ؟، وهل يعترف حين الزّلل والخطل؟.
- مدح الله تعالى في كتابه الكريم من يسارع إلى التوبة ويستعجل في الاستغفار؛ وذمَّ من يسوّف في الأوبة ويؤجّل الاستغفار؛ وجعل سبحانه الإصرارَ على المعاصي والموبقات من الكبائر: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:135].
- قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يبسُط يدَه بالليل ليتوب مُسيئ النَّهار، ويبسُط يده بالنَّهار ليتوب مُسيئ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[رواه مسلم].

من الفكر إلى الفعل

- في القصص عبرة لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد.
- بالقصص القرآني تتشكل قناعات القارئ لكلام الله تعالى؛ فالصور الإدراكية التي تزرعها لا يمكن أن تتحقق بنص تقريريٍّ رتيب.
- مما ولغ فيه المرجفون في هذا العصر «القصص القرآني» وكتب بعضهم كتبا لا ترقى إلى مصاف العلم إنّما هي شبهات وتمويهات وتلبيسات، فوقع في حبالهم الكثير من الشباب غير المكتمل الثقافة.
- للقراءة: «**الظاهرة القرآنية**» مالك بن نبي. و«**القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**» صلاح عبد الفتاح الخالدي.

قال الله تعالى:

كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿33﴾

بذور المعنى

- ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾: الكاف حرفُ جرٍّ، وذلك اسم إشارةٍ؛ أي ذلك المذكورُ في القصَّة من عذاب الدنيا هو شبيهٌ بعذاب يوم القيامة، في أنه يحيق بأهله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[فاطر:43]، ولا يحابي أحدا ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾[غافر:48]، وأنه شديدٌ وأليمٌ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود:102]... وغير ذلك من أوجه الشبه والعبرة.
- ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: ثم أضربت الآية عن المعنى

السابقِ؛ لتدلَّ على أنَّ عذاب الدنيا هو هكذا، وأنَّ عذاب الآخرة هو أشدُّ وأكبرُ: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان:69].

- ومن تمام شدَّة هذا العذاب أنه غير زائلٍ، وعذاب الدنيا مهما اشتدَّ إلاَّ أنه يزول؛ قال تعالى: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾. فهو حتى ولو كان خفيفا خالدًا لا يقدره الناس ولا يصبرون عليه؛ فكيف وهو دائمٌ أليمٌ شديدٌ؟
- ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: الضمير عائدٌ للكفَّار الذي أنكروا يوم الحساب؛ فهُدّدوا بعذابٍ شديدٍ يوم القيامة، إضافةً إلى عذاب الدنيا الذي لا يأمنونه.
- والعلم يُقصد به العلم الذي يحقِّق المرادَ، ويدفع إلى العمل؛ وأمَّا لو علموا ولم يعملوا بعلمهم لم يكن ذلك علمًا معتبرا: إنما العلم ما ورَّث العمل، وما لم يورّث عملا فهو شبيه بالعلم وليس علما على الحقيقة والتحقيق.

التشغيل والتفعيل

- العلم الذي لا يؤدّي إلى خشية الله هو علمٌ ظاهر لا قيمة له؛ ولذلك قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَآءُ﴾[فاطر:28].
- كان رسول الله ﷺ يقول إذا صلّى الصّبح حين يسلّم: «**اللّهمّ**

إنّي أسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبَّلا»[رواه ابن ماجه]. والعلم النافع هو ما باشر القلبَ، وحرَّك الجوارح؛ وهو ما كان فيه صلاح الدنيا والآخرة، ونفع البلاد والعباد، وما لم يكن فيه معصيةٌ أو ظلمٌ أو جورٌ.

- يقول أبو حامد الغزالي: «العلم النافع هو: ما يزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوبِ نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربّك... وكيفية تلبيسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه، حيث أكلوا الدنيا بالدين، واتخذوا العلم ذريعةً ووسيلةً إلى أخذ أموالِ السلاطين، وأكلِ أموال الأوقاف واليتامى والمساكين، وصرفوا همَّتهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلقِ، واضطرهم ذلك إلى المراءاة والمماراة، والمنافسة والمباهاة».

من الفكر إلى الفعل

- المؤمن لا يأمن مكر الله في الدنيا، ولا يهزأ بمصيره في الآخرة.
- لو استحضر الإنسان مدلول «ولعذاب الله أكبر» في كل حركة وسكون، في كل قول وفعل؛ لما تجاوز حدَّ نفسه، ولما تمادى في الفساد؛ فذكر الآخرة صمام الأمان، وسبب النجاة والفلاح.
- حين يموت من يخشى الله ويخافه، يقال في حقه: «مات من كان موقنا أنه يموت» نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء.
- للقراءة: «**بداية الهداية**» أبو حامد الغزالي (ت. 505هـ)؛ و«**المنهج السديد**» محمد بن يوسف السنوسي (ت. 895هـ)، بخاصة باب العلم والعمل. من كتاب التصوف.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿34﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿35﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿36﴾﴾

بذور المعنى

- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: إذا كان مصيرُ المكذِّبين المذكورين من قبلُ هو العذاب الأكبر، وهو الهوانُ والذلُّ؛ فإنَّ مصير المصدِّقين المتَّصفين بالتقوى، هو نسبتهم إلى الله تعالى ﴿رَبِّهِمْ﴾ الذي هو مولاهم، وهو مربِّيهم، وهو الحريص على سعادتهم ونجاتهم؛ ذلك أنهم اعترفوا له بذلك، ولم يتنكَّروا لرسوله في هذا؛ وفي وصفهم بالمتقين بلاغةٌ وذكر لسبب جائزتهم ونوالهم.
- والعندية ﴿عِندَ﴾ تعني المقام المحمود هنالك في دارِ السعادة والخلود؛ أو تعني في علم الله تعالى؛ أمَّا نسبة

الرب إليهم ﴿رَبِّهِمْ﴾ فتشريفٌ وتكريمٌ وتحبيبٌ، ورفعٌ من مقامهم.

- لهؤلاء ﴿جَنَّاتِ﴾ كثيرة لا جنَّة واحدة، والنعيم هو الفردوس الأعلى، وهو كذلك رحمة الله سبحانه. و﴿النَّعِيمِ﴾ في الدنيا هو حسن الحالِ، وراحة البالِ؛ ودار النعيم هو الفردوس الأعلى، وهو مقرُّ المقرَّبين والأبرار.
- ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾: هل يُعقل أن نسوِّي بين مسلمٍ ومجرم، بين طائعٍ وعاصٍ؛ والجرمُ هو الذنبُ الكبير الذي يكون تآمرا ومؤامرة؛ والجريمة هي الجناية الكبيرة؛ والمجرم يشمل كل من ارتكبَ جُرما وجَريمة يستحقُّ عليه عقابًا، والمجرمون هنا المراد بهم الكافرون، وهو ما يفهم من سياق الكلام ومن المقابلة بينهم وبين المسلمين.
- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: هو سؤال للتقريع، معناه: ما دَهاكم؟ وأيُّ خلل أصاب فكركم وتقديركم الأمورَ؟ وكيف تحكمون؟، على أيِّ قاعدة وأساسٍ تبنُون حكمكم في التسوية بين مؤمن طائعٍ وكافرٍ عاصٍ؟.
- وهذا دليل عقليٌّ على وجود الآخرة، وعلى أنَّ يوم الحسابِ لا بدَّ منه لينال كلُّ عاملٍ جزاء عملِه، وهو من تمام عدل الله تعالى سبحانه؛ ولولاه لكان اختلافُ الناس في الدنيا فقرًا وغنًى، سعادةً وشقاءً، من قبيل الجورِ والظلمِ، وحاشى الله

جَلَّجَلَالُهُ أن يظلم أحدًا.

التشغيل والتفعيل

- قد سأل عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أُبَيَّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما التقوى؟ فقال أُبَيٌّ: «يا أمير المؤمنين، لو سلكتَ وادٍ ذا شوكٍ كثيرٍ ماذا تصنع؟» قال: «أُشَمِّرُ عن ثيابي وأحْتَرِزُ» أي: «أحترزُ وأحذرُ مخافة أن يصيبني الشوك». فقال أُبَي بن كعب: «ذاك التقوى..!، فهي تشمير في طاعة الله، واحتراز من معصيته».
- قال القطب اطفيش: «الواجبُ على كلِّ مكلَّف تفضيلُ المسلم وحبُّه، وأن يحبَّ أن يحبَّه المسلمون». ليحاول الواحد منَّا تنزيل هذا المعنى على واقع المسلمين اليوم؛ وعلى علاقاتهم ببعضهم البعض، وعلى التشرنق المذهبي، والعرقي، والأيديولوجي...؛ ولنقارن ذلك مع تفضيل بعضنا لغير المسلم على المسلم، لاعتبارات واهية لا أساس لها.
- يقال: «لا يقبل الله تعالى عملَ مبغضِ المسلم، والآيس، والآمن»، و«يهدم الحسنات بُغض المسلمين».

من الفكر إلى الفعل

- من تمام الاستخفاف بدين الله التسوية بين مسلم وكافر في الحب والبغض، في التقدير والاعتبار.
- نحبُّ من أحبَّ الله تعالى، ونبغض من أبغض الله سبحانه؛ وآصرة الإيمان أعظم آصرة.
- الولاية والبراءة من أصول الإيمان، ومما ثبت بالآيات القطعية في كتاب الله تعالى.
- للقراءة: «**الاستقامة**» في أسس الولاية والبراءة، لمحمد بن سعيد الكدمي (ت. 361هـ). و«**قراصنة وأباطرة**» نعوم شومسكي.

قال الله تعالى:

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿37﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿38﴾﴾

بذور المعنى

- ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: في حكمكم المعوجُّ هذا، هل لكم مِن دليل نقليٍّ؟، وهل لكم أثارةٌ من علمٍ؟، وهل لكم كتابٌ واحدٌ تدرسون فيه، وتنقلون منه علمَكم؟.
- صدق تعالى، وقد فضحهم في قوله سبحانه: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾[النساء:157]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَ اَنتُمُ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:148].
- ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: أي إنَّ لكم في حكمِكم ما تتخيرون من الجزاء الخيِّر الحسن؛ وهو كالتوكيد

لـ﴿تَدْرُسُونَ﴾؛ لأنَّ الدرس تعمق وتخير وتبيُّن في الكتاب.

- في الآية تنبيه إلى أنَّ مَن قال خلاف قول المكذّبين، أي الرسولُ ﷺ والمؤمنون معه، لم يأتوا بقولهم الحقِّ إلاَّ بعقولٍ عاقلةٍ حكيمةٍ لم يُصبها خللٌ، ومن مصدر موثوقٍ يدرسونه: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران:79].

التشغيل والتفعيل

- العلم ثمرة الدرسِ، والدرسُ هو تكرار القراءة قصد الحفظِ والفهم، ودَرَسَ الكتابَ إذا أحاط بما فيه من علومٍ ومعارف ليفهمها ويتعرَّفها، ودرس الموضوع تقصَّاه وبحث فيه.
- بين قوله تعالى ﴿مَا لَكُمْ﴾، وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ معالجةٌ منهجية؛ تدلُّ أنَّ الدليل العقليَّ سابقٌ على الدليل النقليِّ فيما هو من أصول التوحيدِ، وفيما هو بديهيٌّ؛ ثم إنَّ الدليل النقليَّ سابقٌ على العقليِّ فيما هو دون ذلك الغيب، كوصف الجنة والنار مثلا؛ وفيما هو جزئيٌّ تفصيليٌّ كمثل الأحكام الفقهية.
- وسؤالنا الدائم: متى نجعل من القرآن الكريم، والسنَّة الصحيحة، مصدرا للمنهج وللموضوع على السواءِ؟. وكيف لا نقصره على الموضوع دون المنهج؟.

من الفكر إلى الفعل

- طلب الدليل مما درج عليه كلام الله تعالى، ومما ورد بكثرة في سنة المصطفى ﷺ؛ فمن لا دليل له لا رأي له.
- ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ قاعدة كلية هي الحكَم بين الناس، عوضا عن القول بهوًى، أو الظنّ الذي لا يغني من الحقّ شيئا.
- لا تعارُض بين العقل والنقل، والخلافُ في ذلك هو خلافٌ اعتباريٌّ؛ فالعقلُ الصريحُ لا يعارض النقلَ الصحيح.
- العناية بمناهج الاستدلال مما وجب على طالب العلم الحرص عليه.
- للقراءة: «**النجاة في المنطق والإلهيات**»، لابن سينا علي الحسين (ت. 427هـ). و«**عن الدليل في علم العقيدة**» محمد باباعمي.

قال الله تعالى:

أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿39﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿40﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿41﴾

بذور المعنى

- ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ﴾: هو انتقالٌ إلى دليل آخر، بعد الدليل العقليِّ والنقليِّ؛ وهو نفيُ أن يكون ما زعموه من مساواة بين المسلم والفاجر، عهدًا أخذوه على الله لأنفسهم؛ على أنه سيحاسبهم يوم القيامة على حسب حُكمهم وتصوُّرهم. وهو استفهامٌ إنكاريٌّ؛ مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْدًا﴾[البقرة:80]؛ وفي سورة مريم: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:78].
- والأيمان جمع يمين؛ أي هي يمينٌ ويمينٌ أثبتنا بها حقَّكم

المزعوم علينا؛ ولم يكف اليمينُ الواحد حتى ادعيتم الأيمان الكثيرة.

- وإلى يوم القيامة، أي أنها في زعمكم أيمان مؤبَّدة مؤكَّدة مستمرَّة إلى يوم الدين، لا ينتهي مفعولها، وليس لها حدٌّ زمنيٌّ معيَّن؛ ونظيره قوله تعالى في الأحقاف: ﴿وَمَنَ اَضَلُّ مِمَّنْ يَّدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُۥ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف:5].

- والأيمان البالغة هي الأيمان القاطعة والنافذة والتي بلغت النهايةَ في التأكيد، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ اَمْـرَهُ﴾ [الطلاق:3] أي نافذٌ.

- ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾: أي ادَّعيتم أنَّنا أقسَمنا وحلَفنا أيمانا أنَّ لكم ما تحكمون به على أنفسكم من نجاةٍ ومساواةٍ، فهو جواب للقسم. ومن معاني إنَّ لكم لما تحكمون: ليس الأمرُ كذلك، فهو مخالف لما تحكمون به من باطل. ونظيره: ﴿قُلَ اَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُّخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُۥ﴾[البقرة:80].

- ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَ ٰلِكَ زَعِيمٌ﴾: الزعيم هو الكفيلُ والضامنُ؛ والمعنى اسألهم يا محمد، أو يا من آمن بمحمد: مَن منكم ضامنٌ وكفيلٌ بهذا الادّعاء؟؛ أو الزعيمُ هو القائم بالحجَّة والدَّعوى؛ أي من منكم يجرأ ويقوم بالدعوى، ثم يحاجج في هذا الشأن؟ والزعيم قد يكون معناه الرسولُ، أي أيكم أرسل بهذا الادعاء المكذوب.

- ﴿اَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾: هل لهم شهداء وشركاء في مذهبهم هذا؟
- ﴿فَلْيَاتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾: أي ليدعُوا هؤلاء ليشهدوا لهم يوم القيامة عند الله تعالى، إن كانوا على حقٍّ وصدقٍ وصوابٍ. قال تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:23].
- ليس لهم شهداءُ ولا شركاءُ في زعمهم، وحتى لو كانوا لهم وخدعوهم؛ فإنَّهم يوم القيامة ينفُرون منهم، ويكذِّبونهم، قال سبحانه في سورة الكهف: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾[الكهف:52]. بل إنَّ الشركاء يومَ القيامة يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا: ﴿أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾[العنكبوت:25].

التشغيل والتفعيل

- استدراج المحاور بالحجَّة والدليل العقليِّ والنقليِّ والخطابيِّ؛ مما يُتعلَّم من كتاب الله تعالى؛ فمن لا صبر له على الاستدلال، ومن لا قدرة له على سوق الدليل؛ لا حجَّة له ولا غلبة.
- إنما القصد من الحجاج الوصول إلى عينِ الحق، لا لمجرد

الجدال الفارغ العقيم.

- مما ابتلي به الناس في عصرنا العجز عن تتبع الدليل، والقصور عن فهم المعنى كاملاً، وتجزئة الكلمات والمعاني والأفكار إلى حدّ الذرية؛ مما يسمى «الفكر الذريّ المتشظِّي».
- يقول محمد مهاتير: «الهدف من الكلمات هو الاتّصال، إلاَّ أنها تستخدم أحيانًا لإحداث سوء اتصالٍ؛ الأمر الذي يؤدِّي إلى الارتباك والفوضى».

من الفكر إلى الفعل

- احذر كل جدل لا ينتهي إلى فائدة من علم وعمل.
- الجدال يكون بالتي هي أحسن لا بالتي هي أخشن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.
- حاور بنية التعلم والاهتداء إلى الحقّ لا بقصد غلبة الآخر.
- للقراءة: «**الحوار في القرآن: قواعده - أساليبه - معطياته**»؛ محمد حسين فضل الله؛ كتاب «**التحدي**» ضمن موسوعة **محمد مهاتير**؛ «**مطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر**» محمد باباعمي.

قال الله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
(42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى
السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)﴾

بذور المعنى

- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾: اذكر يا محمد يومَ يُكشف عن ساقٍ؛ أي يوم تكشف الشدَّة والقيامةُ عن ساقِها؛ وأصلُه أنَّ المرء إذا جدَّ شمَّر عن ساقه وكشفه ليهرب من خطرٍ، فاستُعير الساق والكشف عنها ليوم القيامة.
- وقيل: ساق الشيء أصله الذي به قوامه؛ أي يُكشف عن أصل الأمر، فتظهر حقائق الأمور وأصلها؛ وهو معنى بديعٌ.
- ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: الداعي هو الله تعالى أو الملائكة تبليغا عن أمر الله سبحانه، يدعونهم إلى السجود، كما يسجد المسلمون شكرًا لله وحمدا؛ لكنَّهم لا

يستطيعون ذلك ولا يقدرون عليه؛ فالقدرة والاستطاعة إنما تؤخذ من الدنيا؛ ونظيره قوله تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[الحديد:13].

- وهم في الآخرة لا يُدعون إلى السجود تعبُّدا وتكليفا، ولكن توبيخا وتعنيفًا، على تركهم السجود في الدنيا؛ مما أورثهم الخسارة وسوء العاقبة في الآخرة.

- ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾: خشوعُ الأبصار دليلٌ على الحياء وطأطأة الرأس والاختفاء عن الأنظارِ؛ قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[الغاشية:2] فأسند الخشوع هنالك للوجوه وهنا للأعين، كنايةً عن خشوعهم بذواتهم وجميع جوارحهم؛ ذلك أنهم عاينوا الحقيقة وتيقَّنوا بها، فلا مفرَّ لهم من الاعتراف والخشوع، والذلّ والهوان، بعد أن فات الأوان.

- ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: تغشاهم وتلحق بهم وتركبهم ذلَّة؛ والذلَّة حالة نفسيةٌ وعذاب في الضمير، يصيب الإنسان لأمر محسوسٍ أو غير محسوسٍ.

- ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾: أي حين كانوا سالمين من كلِّ عيبٍ، يستطيعون السجودَ لله سبحانه المنعم عليهم؛ والرسولُ ﷺ والمؤمنون يدعونهم ويحفزونهم للسجودِ؛ ويحذّرونهم مغبَّة مثل هذا اليوم؛ لكنَّهم كانوا في عمًى وصدودٍ؛ واليوم يعاقَبون من جنس ما

اقترفوا من جرمٍ واجترحوا من إثمٍ. وقيل السجود كناية عن الصلوات الخمس المفروضة، سميت باسم جزئها الأعظم وهو السجود؛ وهذه من تلك، فلا تعارض.

التشغيل والتفعيل

- نقل الإمام الرازي الاختلاف في كون الآية تُحمل على المجاز أم على الحقيقة؛ وذكر أنَّ «الكشف عن الساق مثلٌ في شدَّة الأمر... يوم يشتدُّ الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثَمَّ ولا ساق»؛ ثم بين أنَّ الأصل حملُ الكلام على الحقيقة، وأنَّه لو جوز ذلك لانفتحت أبواب تأويلات لا حدَّ لها؛ غير أنَّ الصواب احتماله، ذلك أنَّ ما ورد في لغة العرب على صيغة المثل جاز حمله للآخرة مجازًا، وما لم يألف الناس اتخاذه مثلا لم يجُز؛ من مثل: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾؛ فلا تحمل هذه الآية على المجاز لعدم وجود قرينة صارفة.
- إذا كان المرء يصلّي الفرض فلا يطِل في السجود، وبخاصَّة إذا كان إمامًا، وليخفّف عن المأمومين؛ أمَّا إذا كان في غير الفرض فليُطل السجود ما شاء، وليدعُ الله تعالى في سجوده بما شاء؛ وليجعل نصب عينه يوم القيامة، يوم يدعى إلى السجود فيسجد، يومئذ يحمد حسن العاقبة.
- لم يكتب الله تعالى لعباده الذلَّ والهوان، وحرَّم على الناس أن يُذِلَّ بعضُهم بعضا؛ إلاَّ من أذلَّ نفسه وأوردها المهالك

وسوء العاقبة؛ فذاك أهلٌ لكل ذلَّة وهوان.

- من تمام ذلَّة الكفار والمنافقين أن وجوههم تكون مسودَّة، ووجوه المؤمنين تكون مبيضَّة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:106].

من الفكر إلى الفعل

- أجمع العلماء أنه لا يجوز حملُ الكلام على المجاز إلاَّ إذا تعذَّر حمله على الحقيقة، ولا يكون ذلك إلاَّ مع قرينة.
- في الحديث النبوي الشريف: «**أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**».
- في الآية وعيدٌ لمن قعد عن الجماعة، ولم يجب المؤذن إلى إقامة الصلاة جماعةً.
- قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**» وهذا من تمام التيسير في دين الله تعالى؛ فلينشُط العبد ما دامت له صحَّة، وأمنٌ، وقوَّةٌ، وقدرةٌ؛ ليحصدَ الأجر يوم يلحقه العجزُ، والضعف، والمرض...

قال الله تعالى:

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿44﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿45﴾

بذور المعنى

- ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: ﴿ذَرْنِي﴾ تهديدٌ ووعيدٌ معناها دعني، وخلِّني وإياهم فسأكفيكَهم يا محمد، ولا تحمل همَّهم، فشأنهم معي وعقابهم بيدي؛ فلا تطلب يا محمد أن تشفع لهم. وفي سورة المدثر: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[المدثر:11] وفي سورة المزمل: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾[المزمل:11].
- ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: نمهلهم قليلا قليلا ولا نباغتهم؛ وهم لا يعلمون أنَّ ذلك استدراجٌ، وإنما يظنُّون أنه تفضُّلٌ عليهم؛ أو نستدرجهم من الجهة التي لا

يحسبون لها حسابًا، من جهة مأمَنهم. قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[الطارق:17].

- ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: أملى الله لهم أي أطال لهم في غيِّهم، ولم يُعجِّلهم بالعذاب؛ وهو مأخوذٌ من أملى للدابَّة إذا أرخى لها، ووسَّع لها في قيدها.
- والملاوة المدةَّ من الدهر؛ ويقال أملى الله له أي أطال له الملاوة والملوان: الليل والنهار.
- والكيد في أصله إرادة مضرَّة الغير خِفيةً، وهو من الخلق الحيلةُ السيئة، ومن الخالق التدبير بالحقِّ جزاء أعمال الخلق؛ وهو في حقّه تعالى العقاب، سماه كيدا على سبيل المشاكلة، ففي سورة الطارق: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق:15-16].
- والمتين هو القويُّ الشديدُ الذي لا يقدر أحدٌ على دفعه أو التخفيفِ منه، ووصف الله تعالى بأنه ﴿الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:58]. والمتين هو اسمٌ من أسماء الله تعالى، يدلُّ على الثبات وأنَّ قوته سبحانه ذاتيةٌ لا عارضةٌ. وفي حديث لعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أقرأني رسول الله ﷺ: **إني أنا الرزاق ذو القوَّة المتين**»[رواه الترمذي].

التشغيل والتفعيل

- في الحديث الشريف: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا**

على معاصيه ما يحبُّ، فإنما هو استدراجٌ»[رواه أحمد]؛ وفي رواية «وهو مقيمٌ على معصيته»؛ وهذا تعريفٌ للاستدراج بأثره على العبد.

- في حديث فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال رسول الله ﷺ قولي: «**يا أوَّل الأوَّلين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين**». والحديث وإن كان ضعيفا، فإنَّنا ندعو بما جاء فيه لموافقته كليات الإيمان، وعلى سبيل الذكر لا على سبيل الرواية.

من الفكر إلى الفعل

- المؤمن إذا أذنب عجَّل الاستغفار والتوبة، وإذا تجدَّدت نعمةٌ قابلها بالشكر. والمنافق كلما جدَّد الله له نعمة تمادى في المعصية، إلى أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر.
- الله يكفي عباده المؤمنين شرَّ الظالمين الضالّين؛ شريطة أن يَصدُقوا في إيمانهم، ويُخلِصوا الطاعة لربهم سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.
- من أفضل الطاعات قراءة التاريخ، بعقل متفتح، والاعتبار من مصير الناس والأمم؛ وقياس ذلك بالحال وبالمآل.
- للقراءة: «**مصير الأمم**» محمد باقر الصدر.

قال الله تعالى:

﴿اَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿46﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿47﴾

بذور المعنى

﴿اَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: ويا محمد، وهل تطلُبُ منهم أجرًا وجزاءً دنيويا على تبليغك الوحي لهم؟ وحال كثير من الدعاة الأدعياء أنهم يبتغون من دعواتهم الحظوة والمكانةَ والمال فقط؛ أمَّا رسول الله ﷺ فقد قال: ﴿لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[الشورى:23]، وكذلك حال جميع الرسل والأنبياء، يقولون: ﴿لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً﴾[هود:29]. وفي سورة الأنعام أمر الله تعالى نبيه أن يقتدي بسنَّة الأنبياء من قوله في هذا، فقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا اِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام:90].

- ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: ولو أنك سألتهم مالاً وأجرًا يا محمد، فإنَّهم لن يستطيعوا دفع ما عليهم من دَينٍ وغرامة؛ وهم مثقلون ومغرَمون حيال العباد، على الحقيقة؛ وحيال ربّ العباد، الذي أغدق عليهم نعمَه فلم يشكرُوها، وأدام عليهم أفضاله فلم يقدروه حقَّ قدره، سبحانه.
- والمُغرَم هو المثقل بالدَّيْن، ونقرأ في سورة الواقعة: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقعة:65-66].
- ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: سؤال استنكاريٌّ آخر، أي هل هؤلاء المكذِّبون قد اطَّلعوا على الغيب؟ وهل لديهم علمٌ بما في اللَّوح المحفوظ؟ فهم لذلك يكتُبون الوحيَ، ويستغنُون عمَّا جئت به من كتاب وحديثٍ. أي هل لهم اتّصال بالمصدر وهم لذلك مستغنون عنك؟ قال تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[مريم:78].

التشغيل والتفعيل

- في الآية توجيهٌ إلى أهمية الكتابة في تثبيت الحقّ وترسيخه، وفي العودة إليها حين الحاجة؛ وهي ملائمة مع فاتحة السورة: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي وما يكتبون.

- أمر الغيب لم يُكشف لأحدٍ من الخلق، ولو كشف للناس لفُتنوا؛ ولذلك لا توجد معرفةٌ ولا علم للغيب، وإنما ثمة إيمان ويقين بالغيب، ثم استسلامٌ ورضًا: ﴿الَذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة:3]. و﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الأنبياء:49].

- قالت جارية في المدينة: «وفينا نبيٌّ يعلم ما في غدٍ» فأنكر عليها ﷺ وقال: «**دعي هذا، وقولي ما كنتِ تقولين، لا يعلم ما في غد إلاَّ الله**»[رواه البخاري].

من الفكر إلى الفعل

- غاية من يدعو إلى الله تعالى يجب أن تتجاوز الأجر والأجرة، وهذا لا يعني أن يكون عاطلا معطلا عن العمل، محتاجا إلى الناس في ضرورات الحياة.
- ثنائية الوظيف والغاية، والوظيف والدعوة، هي من أعقد الإشكالات التي يعاني منها الفكر الإسلامي المعاصر؛ فهل الأجرة تلغي الأجر؟ وهل ينبغي للداعية أن يكون فقيرا لكي يكون متقبَّلا؟ وماذا عن حدّ الكرامة في حياته؟ هي أسئلة تنتظر البحث العلميَّ الجادّ، والإنزال السليم إلى أرض الواقع.
- معرفيا لا يندرج الغيب موضوعا للعلوم، ولا للمناهج، ولا لنظرية المعرفة؛ هذا الذي أحدث خللا كبيرا في حقيقة العلوم وثمراتها، من زاوية الرؤية الكونية المادية.
- للقراء: «**هروبي إلى الحرية**» علي عزت بيجوفيتش. و«**رحابة الإنسانية والإيمان**» عبد الوهاب المسيري.

قال الله تعالى:

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿48﴾ لَوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِالْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿49﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿50﴾

بذور المعنى

- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: شدَّة حرص رسول الله ﷺ على هداية قومِه جعلته يُعنِت نفسه، وقد يَستعجل هدايتهم رحمةً بهم؛ ولقد توارد التوجيه من الله تعالى له أن يصبر ولا يستعجل في عدَّة آيات، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل﴾[الأحقاف:35]؛ وقال سبحانه: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر:8].
- ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: صاحبُ الحوت هو سيدنا يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، لـمَّا أيس من قومه واحتدَّ مزاجُه ﴿ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[الأنبياء:87]، ولم يصبر،

فامتحنه الله تعالى بأن التقمه الحوت: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[الصافات:142]؛ والله تعالى ينهى نبيه محمدا أن يكون مثله في هذا الموقف، لا في جميع حالِ يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

- ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: نادى سيدنا يونس ربه سبحانه وهو محبوس في بطنِ الحوت؛ والكظمُ الحبسُ، ومنه كظم غيظَه أي حبسه، وكظم الباب أي أغلقه، ويقال كظم السّقاء إذا ملأه.
- ونداء يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:87]؛ والمعنى لا تفعل ما فعل يونس، فتضطرُّ إلى مثل نداء يونس هذا، وهو في هذه الحال.
- أمَّا أن يدعو الإنسان بما دعا به يونس إذا ألمَّ به كرب، أو اشتدَّ به أمرٌ، فهو من تمام أمر الشريعة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وهو دعاء من جوامع الكلم.
- ﴿لَوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِالْعَرَآءِ﴾: تداركه ربُّه أي أدركته نعمتُه، والتدارك بصيغة التفاعل أي اللِّحاق، وتداركت المارَّةُ أي لحق بعضُهم بعضًا؛ والنبذُ هو الترك والطرح، والعراء هو الفضاء العاري من النبات والبناء.
- ولولا أنَّ الله تعالى تداركه بنعمته وغمرَه بها، لتُرك منبوذًا

مطروحًا في الصحراء القاحلة ذاتِ المهالك. ولقد أنبت الله تعالى له شجرةَ اليقطين ظلاًّ وطعامًا، ونجَّاه من هلاكٍ مبينٍ.

- ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: المذموم هو المُلام والمعيب عليه، ولقد كان كذلك في هذه الحال؛ ولكنَّ الله تعالى نجَّاه، واستجاب دعاءه، فلم يكن مذمومًا بعد أن تاب الله تعالى عليه، وهذا بفضله ورحمته سبحانه.
- أو أنَّ يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ حين دعا ربَّه، وهو في بطن الحوت، كان نادما، وذليلا، ومعترفا بالذنب، وواجدا للندم؛ ومن شروط التوبة الندم والاستغفار.
- ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: وزاد عليه ربه، بعد أن غفر له، ونجَّاه، وتداركه بنعمته، زادَ له فضلا منه أن اختاره واجتباه وفضَّله على كثيرٍ من خلقه، وعلى كثيرٍ من الأنبياء الآخرين. أو أنه لم يكن نبيئا قبل هذه الحادثة، ثم اجتباه ربه وجعله رسولاً ونبيئًا.
- ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: والصالحون هم المفضَّلون من الأنبياء، ولقد دعا سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[الشعراء:83]. وقال سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا

وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء:21].

التشغيل والتفعيل

- قوم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ هم أهل نينوى، وقرية نينوى تقع في شمال بلاد الرافدين أي العراق، على الضفة اليمنى من نهر دجلة.
- في حديث الطائف تروي المصادر أنَّ رسول الله ﷺ لَمّا سأل عدَّاسا : «**مِن أهل أيِّ البلاد أنت يا عدَّاس؟ وما دينُك؟** قال: نصرانيٌّ، وأنا رجل من أهل نينوى. فقال: **من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟** فقال له عدَّاس: وما يُدريك ما يونس بن متى؟ فقال: **ذاك أخي كان نبيئا وأنا نبيء**، فأسلم عدَّاس وأكبّ على محمد يقبِّل رأسه ويديه وقدميه»[سيرة ابن هشام].

من الفكر إلى الفعل

- نُهي رسول الله ﷺ عن استعجال النتائج، وأمَر بالصبر مع قومه مهما بلغت المحنة مداها؛ ونهينا على إثره بذلك، ولنا عبرة في صاحب الحوت عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأسوة في رسولنا محمد ﷺ.
- إن صحَّ في دعوة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ونداءه حديثٌ لرسول الله ﷺ قال: «**إنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلاَّ استجاب له**»[رواه الحاكم وصححه]. وورد بصيغة عند الديلمي: قال رسول الله ﷺ: «**كان دعاء أخي يونس عجبا: أوله تهليل، وأوسطه تسبيح، وآخره إقرار بالذنب ﴿لَّآ إِلَهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ما دعا به مهموم ولا مغموم ولا مكروبٌ ولا مديونٌ فى يوم ثلاث مرَّات إلاَّ استجيب له**».
- للقراءة: «رحابة الإنسانية والإيمان» عبد الوهاب المسيري.

قال الله تعالى:

وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿51﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿52﴾

بذور المعنى

- ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾: الله تعالى يبيِّن لرسوله ما تنطوي عليه النفوسُ الخبيثة للمكذِّبين؛ ويكشف له سرَّهم وما يُخفون من الحقدِ والبغضِ والحنقَ، وما تفور به نفوسُهم من الشرِّ حين سماعهم كلام الله تعالى.
- زلقَ فلانٌ فلانًا ببصره: أحدَّ بصره فيه حقداً؛ زلقه عن مكانه أزاحه عنه؛ فهم بأبصارهم حين يسمعون الذكر وهو يقرعهم ويفضحهم يكادون يُسقطون رسول الله ﷺ ويصرعونه لو استطاعوا.

- ومعناه كذلك أنَّ بعضا من الكفَّار أرادوا أن يعِينوا رسول الله ﷺ، أي يصيبوه بالعين، فنجَّاه الله تعالى منهم. و«**العين حقٌّ**» كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

- ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾: حكايةً لكلام المكذّبين بينهم؛ وفيها عَودٌ على بدءٍ؛ إذ في أوَّل السورة ذكر الله تعالى بالقسَم أنَّ رسوله ليس مجنونا كما يقولون: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾؛ فتمت المناسبة بين مستهلِّ السورة وخاتمتها.

- وإنما قالوا ذلك، وقالوا عنه ﴿سَاحِرٌ﴾، و﴿كَذَّابٌ﴾، و﴿شَاعِرٌ﴾ وغير ذلك من الافتراء؛ لأنهم لم يجدوا الحجَّة التي بها يردُّون الوحي ويُبطلونه: ﴿وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[ص:4].

- وليست هذه تهمةٌ جديدة على محمد ﷺ؛ وإنما درج عليها الكفَّار في تاريخ النبوات: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ اَوْ مَجْنُونٌ﴾[الذاريات:52].

- ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: وما هذا الوحي إلاَّ من الله تعالى، ربُّ محمد وربُّكم وربُّ العالمين؛ وهو ذكرٌ لكم، وفيه ذكركم، ولصالح البشرية جمعاءَ، فإن هي انتفعت به نجت، وإن هي أعرضت عنه هلكت؛ وثبت أنَّ الرسول ﷺ

مذكِّر من الله للعالمين، ما دام القرآن الكريم ذكرا للعالمين: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾[الغاشية:21].

- ومعنى الحصر في ﴿وَمَا هُوَ﴾ أنَّ رسول الله ﷺ لا يملك عليهم سلطانا، وناسب الأمر ما ورد من قبل: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾[القلم:48]؛ ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٖ﴾[الغاشية:22]، ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾[البقرة:272]، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق:45].

التشغيل والتفعيل

- يُلقي بعض المستشرقين – ومن تبعهم من أذنابٍ، باسم العلم – شُبهة مفادها أنَّ عالمية الرسالة لم تكن في وعي النبيء محمد ﷺ حين كان بمكة، وإنما هي حالة طارئة عليه حين انطلق وهو في المدينة من انتصارٍ إلى انتصارٍ، مما أدَّى إلى اتساع طموحه على العالم؛ والآية وهي مكية تدحض ما قالوا؛ وتبين أنَّ الإسلام دينٌ كونيٌّ عالميٌّ من أوَّل يوم نزل فيه: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

- قيل: قراءة هذه الآية تدفع ضرر العين، والعين حقٌّ لقول رسول الله ﷺ: «**العين حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابقٌ القدَر سبقته العينُ**»[رواه مسلم]؛ ومن جميل الأحكام الفقهية أنَّ العائن إذا تحقَّق ضرره بالعين يُحبَس حتى لا يُهلك الناس،

ويُطعم من بيت مال المسلمين.

- يقول مراده هوفمان في حوار أجراه مع جريدة البيان: «إنَّ الإسلام سيظلُّ البديل المثاليَّ للمنظومة الفكرية والثقافية في الغرب، وهو الدين الوحيد القادر على التعامل مع العقلية الغربية، والقادر على هضم حضارة الغرب، وتخليص المجتمعات الغربية من المتناقضات والأزمات الاجتماعية التي تعاني منها».

من الفكر إلى الفعل

- تحجيم الإسلام وتقزيمه في محليات وانتماءات محدودة الإدراك محدودة الحركة لا يلائم طبيعته، ولا يحقق الرسالة التي أنزل من أجلها.
- قال ﷺ: «**إذا رأى أحدكم ما يعجبه من نفسه فليقل: ما شاء الله لا قوَّة إلا بالله**».
- في الحديث الذي رواه الترمذي «**إنَّ رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان، ثم أعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك**» فالاستعاذة بالله من العين تكون بقراءة المعوَّذتين، وبتلاوة القرآن بعامَّة.
- للقراءة: «**الظاهرة القرآنية**» مالك بن نبي. و«**الإسلام كبديل**» مراد هوفمان.

فهرس الآيات

تفسير سورة الملك 13
﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...﴾ 15
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ...﴾ 20
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا...﴾ 25
﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبِ...﴾ 30
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ...﴾ 34
﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ...وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ 39
﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا..... فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ 43
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ..... لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ 48
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ...﴾ 52
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ..... وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ 56
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ...﴾ 60
﴿ءَامِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن..... كَيْفَ نَذِيرِ﴾ 65

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن...﴾ 69
﴿أَوَلَمْ يَرَوا اِلَى الطَّيْرِ...﴾ 73
﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ...﴾ 78
﴿اَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنَ اَمْسَكَ...﴾ 82
﴿اَفَمَنْ يَّمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ...﴾ 86
﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ...﴾ 90
﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الاَرْضِ...﴾ 95
﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ..... نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ 99
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ...﴾ 104
﴿قُلْ اَرَآيْتُمْ إِنَ اَهْلَكَنِيَ اللهُ...﴾ 109
﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ...﴾ 113
﴿قُلْ اَرَآيْتُمْ إِنَ اَصْبَحَ...﴾ 117
تفسير سورة القلم 121
﴿ن وَالْقَلَمِ..... بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ 129
﴿ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا...﴾ 134
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ...﴾ 138

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ..... وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ 142
﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ..... فَيُدْهِنُونَ﴾ 147
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ..... ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ 151
﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ..... عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ 156
﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا..... وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ 160
﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ..... إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ 164
﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ..... حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ 168
﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا..... إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ 172
﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..... إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ 176
﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ...﴾ 180
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ..... كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ 184
﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ..... لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ 188
﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا..... إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ 191
﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ..... وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ 196
﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ..... كَيْدِي مَتِينٌ﴾ 201
﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم..... الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ 205

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ..... فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ 209

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا..... ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ 214